الدكتور صلاح الدين بسيونى رسلان

الوزارة

فى الفكر السياسى

دراسة مقارنة

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

الوزارة فى الفكر السياسى

(دراسة مقارنة)

الوزارة فى الفكر السياسى

(دراسة مقارنة)

د. صلاح الدين بسيونى رسلان

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــاب : الوزارة فى الفكر السياسى

المؤلـــــف : د. صلاح الدين بسيونى رسلان

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

النـــاشــــر : **دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع**

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت : ٢٤٦٢٥٦٢

فاكس : ٢٤٠١٧٤٤

التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1) ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقـم الإيـــداع : ٩٩/١٣٢٠٧

الترقيم الدولى : ISBN

977- 303 - 197- 7

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تعتبر الوزارة من أهم النظم السياسية التنفيذية على الإطلاق نظراً لهيمنتها على جميع شئون الدولة، فالوزارة هى عصب كل دولة، ومصدر قوة الدفع فيها إما إلى النمو والتقدم أو إلى الانكماش والتعثر وهى بهذا تمثل حجر الزاوية فى أى نظام سياسى قائم .

ويشترك الوزراء، فى جميع الأنظمة، فى عناصر معينة هى[1] :

١- إبداء الرأى

٢- تنفيذ السياسات العامة للدولة .

٣- يرى فيهم الرأى العام واجهة السلطة التنفيذية، فهم مستودع الفكرة وأداة التنفيذ وترى فيهم هذه السلطة وسيلتها فى إرضاء الرأى العام خاصة بعد أن استقر الفكر السياسى الحديث على أن تأسيس الحكومات لم يكن إلا من أجل حماية الحقوق، وبالتالى تتركز منابع سلطة الحكومة فى قبول المحكومين لها ورضاهم عنها، ذلك الرضاء الذى يعتبر الأساس أو التبرير السياسى للسلطة وهو الذى يصبغ عليها صبغة المشروعية .

---

(١) د. سعاد الشرقاوى، د. عبدالله ناصف : أسس القانون الدستورى وشرح النظام لسياسى المصرى، دار النهضة العربية بمصر ١٩٨٤ ص٤٤ حاشية٣.

لهذا قال البعض، متأثر بهذا الواقع، أن السادة الوزراء هم الذين يحكمون في الواقع [٢] .

ومجاراة لهذا الفهم، تعرف بعض المعاجم الوزير بأنه :

" هو من يعينه الملك أو صاحب السلطة العليا في البلاد ليتولى شئون الدولة فيستعين برأيه وتدبيره " [٣].

ومن هنا أصبحت مسئولية الوزراء مسئولية شاملة، فهم مسئولون عن الأضرار التي تنجم عن مزاولتهم لوظائفهم، ومسئولون عن الجرائم التي يقترفونها أثناء مزاولتهم تلك الوظائف .

---

(٢) جاك دوند يودوفاير : الدولة ترجمة الدكتور سطوحي فوق العادة، منشورات عويدات بيروت ط. أولى ١٩٧٠ ص٥ .

(٣) معجم المنجد في اللغة والإعلام، قسم اللغة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون ص٨٩٨ .

۞ الوزارة فى العالم القديم

عرفت الحضارات القديمة فى مصر واليونان وروما وآشور وبابل والهند والصين نظام دولة المدينة . وتركزت السلطات فى هذه المدن فى يد زعيم أو ملك أو قائد يستمد سلطته من الوحى الإلهى، ويجبر الناس على الخضوع والولاء له باعتباره ممثلاً لوحى السماء. ومعنى هذا أن دولة المدينة فى هذه الحضارات القديمة قد قامت على فكرة الزعامة واختلاط الدولة بشخص الحاكم .

وقد تميز نظام الدولة القديمة والوسطى بأنها كانت محض منظمة سياسية تستقر على مفهوم أو آخر من مفاهيم نظم الحكم، لكنها تحولت بفعل تطور التاريخ لتصبح كذلك منظمة قانونية تقوم على فكرة الدستور فى مفهومها القانونى الملزم (٤) .

◈ *الوزارة فى مصر الفرعونية* :

شكل المصريون القدماء أول مجتمع سياسى، كان مهداً لأول حضارة تميزت بالسمو الرائع (٥) .

---

(٤) د. طعيمة الجرف : نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية بمصر ١٩٧٨ ص٢٤،٢٥ .

(٥) فؤاد محمد شبل : الفكر السياسى، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٧٤ جـ١ ص٣٥،٤٤، وانظر د. حامد سلطان : القانون الدولى العام فى وقت السلم، دار النهضة العربية بمصر، طبعة ثالثة ١٩٦٨ص٥٤٢ .

وكانت الأراضي في مصر القديمة مقسمة إلى أحواض Nome تشبه المديريات والمحافظات في عصرنا، وكان على كل منها رئيس أو أمير يخضع للملك الذي كان يظن أنه ابن الآلهة ومن نسلهم والحاكم باسمهم (٦) .

وقد تركزت في يدي الملك الإله جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكان القس الرئيسي للدين، ويرأس الحفلات الدينية والطقوس في المناسبات الهامة، بالإضافة إلى كونه المحكمة العليا الذي ترفع إليه قضايا في أحوال معينة ومن هنا كان من المستحيل عليه أن يتولى بنفسه هذه المهام، وأصبح لزاماً عليه أن ينيب عنه في هذا بعض البشر ليعملوا باسمه ويحملون ألقاباً تدل على مسئوليتهم أمامه (٧) .

وقد شهدت الأسرة الرابعة بداية نشأة مناصب الوزير، الذي استمر موجوداً طيلة العصر الفرعوني . ويذهب (ول ديورانت) إلى تحديد بداية نشأة الحكومة في مصر قبل عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

---

(٦) د. حسن شحاته سعفان : أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، ص٣٢ .

(٧) د. بطرس غالي، د. محمود خيري عيسى : مبادئ العلوم السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية ط.أولى ١٩٦٢-١٩٦٣، ص٣٩ .

وكان للدولة فى مصر القديمة مجلس يسمى (مجلس الدولة) يتكون من وزير أكبر (يقوم مقام رئيس الوزراء الآن) ووزراء لمختلف شئون الدولة يعينهم الملك بمراسيم (٨) .

وكانت مهمة الوزراء حمل أوامر الملك الإله وتعليماته إلى الرعية، وإحاطته علما برغباتهم، وإنفاذ القانون، ومراعاة العرف السائد، وإعطاء كل إنسان حقه . ولذلك نجد الملك الفرعون يوصى وزيره الذى يعينه فى منصب الوزير بقوله :

اجعل عينيك على مكتب الوزير، وراقب كل ما يحدث فيه، واعلم أنه هو الدعامة التى تستند إليها جميع البلاد . . ليست الوزارة حلوة بل هى مرة، وليست وسيلة لاتخاذ الناس عبيدا . . إذا أتاك شاك من مصر العليا أو السفلى فاحرص على أن يجرى القانون مجراه فى كل شىء، وأن يتبع فى كل شىء العرف السائد فى بلده، وأن يعطى كل إنسان حقه واعلم أن المحاباة بغيضة إلى الإله . . عامل من تعرفه كمن لا تعرفه، ومن يكون من أقارب الملك كمن يكون بعيدا عنه، واعلم أن الأمير الذى يقوم بذلك سيستمر هنا فى

(٨) انظر : د. مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية لجنة البيان العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣ ص١٧ .

هذا المكان، وليكن ما يخافه الناس من الأمير أنه يعدل فى حكمه . ارع القواعد المفروضة عليك (٩) .

إن صفة العدل كانت من أهم الأفكار التى تركز عليها الدولة فى مصر القديمة، لأن العدل كان من أهم صفات الملك الإله .

ولم يكن الوزراء يتمتعون بأى سلطة ذاتية أو استقلال شخصى كما هو الحال فى الدولة الإسلامية أو فى العصر الحديث، إذ أنهم كانوا عمالا للملك الفرعون . وإذا كان الوزراء مسئولين أمام الوزير الأكبر، فإن الوزير الأكبر مسئول بدوره أمام الملك وحده وليس أمام الشعب أو ممثليه من أهل الحل والعقد، كما هو الحال فى الإسلام . ويمثل العزل من المنصب جملة الجزاءات التى يمكن أن توقع على الوزير فى مصر الفرعونية .

وبخصوص مسئولية الوزراء الجنائية، فقد كانوا يخضعون للمساءلة أمام محكمة خاصة يرأسها الملك نفسه، ويعاونه عدد من القضاة من أبناء النبلاء الإقطاعيين وكل من يثبت إدانته تصدر

(٩) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، الجزء الثانى من المجلد الأول ١٩٦٣ ص٩٣ .

المحكمة حكما عليه يتدرج من نزع الممتلكات إلى التجريد من اللقب أو الحرمان من شرف الدفن بالمقابر الملكية .

◈ *الوزارة فى الصين القديمة* :

قام نظام الحكم فى الصين القديمة على أساس أن الملك هو ابن السماء، وهو يستمد شريعة الحكم من قوة أجداده النبلاء الذين يقيمون فى السماء ومعنى هذا أنه يحكم وفقا للحق الإلهى الذى يخوله سلطة مطلقة فى الإشراف على شئون مملكته .

ويعاون الملك أو الإمبراطور فى حكمه مجلسان هما :

١- مجلس الأعيان أو المجلس الكبير الذى يتألف من طبقة من الأمراء أو الأرستقراط [١٠] . وكبار الكتاب وقضاة المظالم ومندوبو الوزارات .

٢- مجلس الوزراء ويتكون من ستة أعضاء يختارون من صفوة رجال الدولة الحكماء وذلك بقدر عدد الوزارات وهى الشئون المدنية والمالية والبلاط، والحرب، والعدل، والأشغال العامة[١١]

(١٠) انظر: الدكتور مصطفى الخشاب: تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ص٤٠، ٤١ .

(١١) انظر : وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م ٣/٩١٠ .

وتتم محاسبة الوزراء أمام الإمبراطور، ومسئوليتهم أمامه هي مسئولية فردية .

ولما كانت السعادة، عند كونفوشيوس حكيم الصين، هى غاية الإنسان وهدفه الأسمى، فقد عرف الحكومة الصالحة بأنها التى تكفل السعادة للشعب، وجعل من شروط الحكم توافر الخلق الصالح ورجاحة العقل فى الحاكم وفى هذا يرى كونفوشيوس :

" أن الحاكم إذا استعان – لقيادة الشعب – بالفضيلة (بفضل السنة والقدوة الحسنة) وارتكن على العرف والعادات الصالحة التى يوقرها الشعب وتنزل بينه منزلة التقديس، فها هنا يرتبط الناس برباط معنوى مكين لتقويم أنفسهم وإصلاح حالهم " (١٢) .

ويرى أن معظم الشرور وجميع المظالم سببها افتقار المجتمع الصينى لوجود الحكومة الصالحة التى تقوم على أكفأ عناصر الأمة علما وخلقا .

وقد جعل كونفوشيوس مبدأ (العدل) ركيزة لتصرفات الحكومة حتى تحوز ثقة الشعب فيها . وبذل جهودا كبيرة لإقناع الحكام بأن

(١٢) فؤاد محمد شبل : حكمة الصين، دار المعارف بمصر ٧٩/١.

يملكوا ولا يحكموا، وأن يدعوا تصريف أمور الإدارة إلى الوزراء الذين يختارون لكفايتهم (١٣).

وكان يعتبر الوزير أعلى درجات المسئولية الأدبية، وأن في مخادعة الوزير للحاكم، وعدم معارضته علنا إن اقتضى الأمر، ما يعجل بزوال الدولة وتدميرها .

والوزراء الصالحون، في نظره، هم الذين يعتمدون في حكمهم على القانون ومبادئ العقل الراجح السليم، ويبتعدون عن أهواء الأمراء ورغباتهم الشخصية ويرى أنه يجب عزل الوزير الذى يخرج عن حدود هذه السياسة الصالحة .

وقد شدد كونفوشيوس على اتخاذ التعليم أداة للتأثير في الشباب الذى يختار منه الوزراء في المستقبل، " وبفضله يتكون رأى عام واع يستطيع – بمرور الأيام – ممارسة الضغط على الحكام لتولية خيرة العناصر المراكز الحكومية ذات المسئولية (١٤).

أما منشيوس (٣٧٢-٢٨٩ قبل الميلاد)، تلميذ كونفوشيوس وأعظم أساتذة الكونفوشيوسية بعد مؤسسها كونفوشيوس، فقد أكد

---

(١٣) المصدر السابق ١/٨٠ .

(١٤) المصدر السابق ١/٨١ .

سيادة الشعب، ونادى بأن هدف الحكم هو تحقيق منفعة الشعب . "فالشعب عنده أهم عامل من عوامل قيام الدولة ووجودها، تفوق أهميته الأرض والإنتاج بما لا يقاس . . ويأتي الحاكم فى آخر القائمة المتضمنة عوامل قيام الدولة " (١٥) .

ويرى أن مبرر وجود الإقطاعيين وكبار الموظفين هو مقدرتهم على خدمة الفلاحين والظفر بتأييدهم، ويفقد الحاكم السند الذى يجعل منه حاكما إذا أخفق فى نيل تأييد الفلاحين له، ويستحيل بالتالى إلى مجرد فرد عادى كبقية الناس .

وفى إمكان الوزراء، فيما يرى ذلك منشيوس، كبح جماح الحاكم الضال وإصلاح أحواله، وطالبهم بالاستقالة إن لم يتقبل الملك نصائحهم ويستمع إليها ويعمل بها، بل أمرهم بالثورة عليه ونزعه عن العرش .

ويجب أن تكون العلاقات بين الحاكم ووزرائه علاقات تبادلية وفى هذا يقول :

" إذا ما نظر الحاكم إلى وزرائه كما لو كانوا يديه وقدميه، وجب أن ينظروا إليه على اعتبار أنه معدتهم وقلبهم، فإذا اعتبرهم

---

(١٥) المصدر السابق ١/١٠٨ .

كلابا وخيولا، وجب أن ينظروا إليه كرجل عادى - فإذا نظر إليهم على أنهم وسخ وكلأ، وجب أن يعتبروه لصا وعدوا " (١٦) .

◈ الوزارة فى اليونان القديمة :

اعتبرت المدن اليونانية القديمة صورة مصغرة للدولة الحديثة بوصفها شخصا مستقلا عن أشخاص الحكام الذين بيدهم السلطة السياسية (١٧) وقد تكونت الهيئة الحاكمة فيها من جمعية شعبية عامة ومجلس وقضاء .

وقد شملت الجمعية العامة كل أفراد الشعب الذين بلغوا سن العشرين . ومن واجبات هذه الجمعية مباشرة شئون الحكم، ومراقبة كل موظفى الدولة، الذين كانوا مسئولين أمامها مسئولية كاملة (١٨) .

وكانت عضوية هذه الجمعية بالانتخاب لمدة قصيرة .

أما المجلس، فكان عدد أعضائه خمسمائة يختارون من بين

---

(١٦) المصدر السابق ١/١١١ .

(١٧) انظر : د. ثروت بدوى : النظم السياسية، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية بمصر، ١٩٧٠، ص٢٤ .

(١٨) انظر : د. إبراهيم دسوقى أباظة، د. عبد العزيز غنام : تاريخ الفكر السياسى، دار النجاح ببيروت ١٩٧٣، ص١٦ .

الأقسام المائة التى تتكون من مجموعها المدينة، وتتركز فى أيديهم أعمال الحكومة ونظرا لكثرة عدد أعضاء المجلس، طبق نظام التناوب فى الوظائف عن طريق تشكيل لجان تضم كل منها خمسين عضوا للقيام بأعمال المجلس لمدة ٣٥ يوما، وكان يرأس كل مجموعة رئيس بالتناوب يتم اختياره بالقرعة من بين الخمسين لتكون مدة رئاسته يوما واحدا فى حياته .

ومن مهام المجلس حل المشاكل الرئيسية، كما كان المجلس عبارة عن السلطة التنفيذية للحكومة، إذ كان من حقه مراقبة كبار المسئولين وجميع الهيئات العاملة، ومراجعة النواحى المالية ومراقبة القوة البحرية .

أما مجلس القضاء (السلطة القضائية)، فقد انحصر عمل القضاء فى مراقبة كبار الموظفين وتنفيذ القانون، والفصل فى القضايا المدنية والجنائية .

ومراقبة القضاء لكبار الموظفين والحكام، ضمانا لنزاهة الحكم يتم بطرق متعددة هى :

١- خضوع المرشح لاختبار دقيق وفحص موقفه وسلوكه قبلما يلى منصبه .

٢- بعد انتهاء تولى الحاكم منصبه، تستعرض أعماله وتدرس إنجازاته والمآخذ التى تحسب عليه .

٣- مراجعة ثروته قبل تولى المنصب وبعد تركه [١٩].

ومن أقدم المناصب التى وجدت فى المجتمع اليونانى القديم مناصب الملك، ورئيس الحرب، ورئيس الحكومة (الأركون)، وقد تعدد منصب الأركون حتى وصل إلى تسعة رؤساء، بعد أن كان فى البدء أركونا واحدا، وكان أصحابه يملكون حق القضاء المطلق فى كل ما يعرض عليهم من أمور المجتمع .

◈ الوزارة عند الرومان :

غلب الطابع العملى على الفكر الرومانى، وأهملت روما العلم السياسى تماما . ولم يبدع الرومان شيئا ذا بال فى مجال العلوم السياسية، بل اعتمدوا على التوفيق بين نظريات متعارضة أو أجزاء مقتبسة عن مفكرين مختلفين . وأغناهم تراث اليونان الفلسفى عن الإنشاء والإبداع فى هذا الميدان .

أما عن السلطة التنفيذية فقد تولى إدارة الحكومة كونتات وكان

(١٩) فؤاد محمد شبل : الفكر السياسى، ص٨٩ .

ذلك فى عهد شارلمان (حوالى ٨٠٠م) الذى جمع السلطة كلها فى يده ويساعده فى أداء مهامه هؤلاء الكونتات . وفى عام ٨٠٢ أدخل نظام المبعوثين الملكيين (أسقف وكونت) لحسن مراقبة الإدارات المالية والقضائية والدينية وشكلوا، بذلك حلقة جوهرية بين الحكومة المحلية والحكومة المركزية [٢٠] .

ومع ذلك، أبدع شيشرون (١٠٦-٤٣ق.م) المفكر السياسى الرومانى، فكرة التفرقة بين الدولة والحكومة، فمنشأ المجتمع الإنسانى عنده ليس ضعف الإنسان وعدم قدرته على القيام وحده بكل ما تتطلبه حياته اقتصاديا، بل لأن الإنسان اجتماعى بطبيعته، مدنى بغريزته، لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن بقية أفراد جنسه، وعلى ذلك فكل شعب عبارة عن اجتماع لعديد من الأفراد، وكل دولة عبارة عن تنظيم للشعب، وكل جمهورية عبارة عن شىء يخص الشعب، والدولة بهذا هى مجتمع من الأفراد قبلوا المعيشة معا تحت قانون واحد، وهى ملك لهم هى وقوانينها، والسلطة السياسية، بالتالى هى سلطة الشعب وتمارس الحكومة هذه السلطة نيابة عن الشعب، بصفتها وكيلة عنه .

---

(٢٠) انظر وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، الجزء الثانى ص٤٠٢-٤٠٣ .

وتكون ممارسة الحكام لتلك السلطة استنادا إلى القانون، ذلك القانون الذى سبق أن اتفق عليه الشعب والحاكم، وصار كعقد حكومى بينهما (٢١) .

فإذا عدنا إلى أيام الإمبراطورية التى أقامها اكتافيوس (الإمبراطور أغسطس، ٢٧ق.م)، فسنلاحظ أنه عندما اتسعت الولايات التى كان يحكمها، بحيث أصبح غير قادر على حكمها وإدارتها، أناب عنه ممثلين شخصيين Legati لإدارتها وتولى أمورها .

وأصبح السناتو (مجلس الشيوخ الرومانى) فى عصره مركز الإدارة، إذ تخرج منه الرجال المحنكين سياسيا، الذين أمكن عن طريقهم ملء كافة الوظائف التى تمثل دولاب العمل الحكومى، مثل الإشراف على الأشغال والمرافق العامة والتموين مثل بناء المعابد والمحاريب والحمامات وقنوات المياه والطرق والكبارى وتحديد أسعار المواد التموينية فى الأسواق واعتماد الموازين والمعايير

---

(٢١) انظر : د. بطرس بطرس غالى، د. محمود خيرى عيسى : مبادئ العلوم السياسية ص٦٥ وما بعدها .

والإشراف على قطاع الأمن والنظام وخفر المدينة وكذلك المهرجانات والتجهيزات الجنائزية الرسمية ۞.

لقد كان رجال السناتو Senatus فى حقيقة الأمر، هم ثمرة الخبرات الطويلة للسياسة الرومانية، وأن لا غنى عنهم، ويمكن اعتبارهم، فى هذا العهد، بمثابة القناة الموصلة لقرارات الإمبراطور للجهات المختصة .

۞ انظر : د. سيد أحمد على الناصرى : تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ص٣٥-٣٦ وانظر د. سيد رجب السيد : المسئولية الوزارية فى النظام السياسى الإسلامى، القاهرة .

نشأة الوزارة فى الإسلام

يعد القرآن منبعاً لأصول الفلسفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يقوم عليها المجتمع المتكامل السليم، فالإسلام، وكما يؤكد ذلك الأستاذ (شاخت) فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية، ليس مجرد دين، بل إنه نظام فكرى متكامل يشمل الدين والدولة جميعاً . وقد شجع الإسلام على إقامة الدولة وحض عليها لحراسة الدين وسياسة الدنيا، كما حض على إقامة الوزارة كولاية شرعية أساسها القرآن الكريم ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٢٢) .

ومعنى هذا أن الوزارة، كما توضحها هذه الآيات البينات، نوعان : وزارة مشاركة فى مباشرة الحكم، ووزارة مشورة لتنفيذ بعض الأعمال والمهام . وقد تطورت هذه الوزارة بنوعيها لتصبح بعد ذلك ومع مرور الأيام وزارة التفويض ووزارة التنفيذ .

وتتجلى عظمة القرآن فى تركه التفاصيل والجزئيات دون إشارة إليها، حتى تستطيع الأمة المسلمة أن تصوغ دقائقها وفقاً للظروف والأحوال المحيطة بها فى كل زمان ومكان . وتتميز

(٢٢) طه ٢٩-٣٢ .

الأصول التى احتوى عليها الإسلام بالوضوح والعالمية والاعتداد بالإنسان حيثما كان . فى الوقت الذى نجد فيه أن الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالى والماركسى تفتقد البعد الإنسانى .

يقول أبو بكر بن العربى، وهو بصدد الحديث عن وزارتى المشورة والمشاركة، إن الوزارة كما وردت فى القرآن الكريم فى سورة طه على لسان موسى عليه السلام فى الآيات الكريمة من ٢٩ إلى ٣٢ هى على دربين :

إما على وزارة مشورة، وإما على وزارة مشاركة (٢٣) .

فلو سكت موسى عند آيات ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ لكانت وزارة مشورة .

لكنه تأدب مع أخيه لسنه وفضله وحلمه وصبره فقال : ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ أى سأل وزارة مشاركة فى أصل النبوة .

يضاف إلى ذلك أن الله تعالى قد أكرم هارون عليه السلام ووهبه النبوة رحمة بأخيه موسى عليه السلام . ولذا كانت وزارة المشاركة فى أصل النبوة وفى تسيير أمور قومهما . ووزارة المشاركة هذه كانت

(٢٣) أبو بكر بن العربى : أحكام القرآن، القسم الرابع، ط. ثانية، ١٩٦٨، ص١٦٣٠

من نبى (هارون عليه السلام) لأخيه النبى والرسول (موسى عليه السلام) فى نطاق ما يراه ويأمر به سيدنا موسى كمسئول عن الرسالة . وهى هبة من الله واستجابة لطلبه، بعد السنة الأولى، وهى فوزه بالنجاة بأمر الله من فرعون وقومه .

هذه هى الوزارة الإسلامية التى ذكرها الله تعالى فى قرآنه الحكيم لنسترشد بها فى أمور حياتنا . وإذا أثير سؤال حول هذه الوزارة الإسلامية وأنها نزلت فى شرع من قبلنا، فإن الإجابة أن الإسلام قد أتى ليكمل الديانات السابقة عليه، وأن أصل الأديان واحد، وإن اختلفت فى تفاصيل الأحكام ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** . . . ﴾ (٢٤) إن وصايا التوراة هى وصايا الإنجيل ووصايا القرآن جمعتهما وزادت عليهما ما شاء الله من وصايا الذكر الحكيم (٢٥) .

وقد تميزت الوزارة فى العهد النبوى بكونها وزارة مشورة، وليس وزارة مشاركة لأنه ﷺ كان آخر الأنبياء المرسلين ولم يكن فى زمنه ولا بعده من نبى ولا رسول، خلافاً لما كان عليه الحال فى

---

(٢٤) المائدة : ٤٨

(٢٥) د. محمد عبد الله دراز : فى الدين والأخلاق والقومية ط. القاهرة، ١٩٦٥، ص٦٧

عهد رسالة موسى عليه السلام إذ من الله عليه بأخيه هارون نبيا، مشاركة له فى أصل النبوة وتسيير أمور قومه، وهو ما لم يحدث فى عهد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، إذ جمع فى يده جميع السلطات، يضاف إلى ما تقدم أن وزارة المشاركة فى عهد رسالة موسى كانت تتطلب أن يكون كل من المستوزِر والمستوزَر من نفس الدرجة على الأقل وهو ما لم يتحقق فى زمان رسالة سيدنا محمد آخر الأنبياء والمرسلين . إن هذا يؤكد أن الوزارة فى العهد النبوى لم تكن وزارة مشاركة بل كانت وزارة مشورة .

و قد عرفت كلمة " وزير " عند العرب قبل الفتوحات الإسلامية، إذ أن من المسلم به تاريخيا أن منصب الوزارة فى حد ذاته أقدم من الإسلام – كما سبق وأشرنا من قبل – فقد ورد فى القرآن على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي ﴾ (٢٦) .

فلما جاء الإسلام أقر المنصب، ووضع له شروطا خاصة تميزها بما يؤكد أن هذا المنصب كان موجودا منذ صدر الإسلام، ولم يعرفه المسلمون عن طريق الفرس، كما يحلو لبعض الباحثين أن

---

(٢٦) طه ٢٩-٣٠ .

يقول بفارسية المنصب، وأن الفكرة واللفظ والشخص ومهام المنصب أخذت من فارس فى العهد العباسى الأول (٢٧) .

وقد ظهر الوزراء فى الدولة الإسلامية منذ نشأتها، إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه ويتخذ منهم وزراء، ويخص منهم – فيمن يستشير ويستوزر – أبا بكر وعمر وعثمان وعلى . وكان العرب – فيما يرى ابن خلدون فى مقدمته، طبعه على وافى الأولى ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م م جـ٢ص٦٠٤، ٦٠٥ – يصفون أبا بكر بأنه وزير الرسول، كما كان يوصف به أيضا عمر بالنسبة إلى الخليفة أبى بكر، كما كان يوصف بهذا الوصف على وعثمان بالنسبة إلى الخليفة عمر . ومعنى هذا أن كبار الصحابة

---

(٢٧) انظر فيمن يقول بهذا : د. حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية طبعة القاهرة ١٩٣٩ ص١٤٤ . د. أحمد شلبى : كتاب = = السياسة والاقتصاد فى التفكير الإسلامى ص١٢٣ وما بعدها، والدكتور عبد الحميد متولى : مبادئ نظام الحكم فى الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة دار المعارف بمصر ط. أولى ص٦٢٧ . ومن الواضح أن هؤلاء الباحثين قد تأثروا فى قولهم بفارسية منصب الوزير بأقوال قدامى كتاب النظم من المسلمين مثل ابن خلكان فى مصنفه (وفيات الأعيان) والماوردى فى مؤلفه (الأحكام السلطانية)، وابن طباطبا فى مصنفه (الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وعبد الحى الكتانى فى مصنفه (التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية) .

كانوا يقومون لدى الرسول مقام الوزراء فى إطار الرأى والمشورة فى أمور الجهاد ومواجهة الأعداء وتخير منازل الحرب .

وعنه ﷺ قال فى استحباب اتخاذ الوزير الصالح : " إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، أن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، أن نسى لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه " وقال " إن لى فى السماء وزيرين وفى الأرض وزيرين : فاللذان فى السماء جبريل وميكائيل، واللذان فى الأرض أبو بكر وعمر " [٢٨] . وروى عنه على أبى طالب ﷺ أنه قال عليه الصلاة والسلام : " إنه لم يكن نبى إلا أعطى سبعة نجباء (وزراء) رفقاء، وإنى أعطيت أربعة عشر " . وقال أيضاً، عليه الصلاة والسلام : ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى " .

إن الرسول ﷺ كان طيلة حياته مرجع المسلمين فى تدبير شئونهم العامة من تشريع وقضاء وتنفيذ، جامعاً بهذا بين السلطات ومرجعها الوحيد، مما جعل المسلمين يطيعونه فى تنفيذ ما أمر به الدين الجديد وتتطلبه شريعة الإسلام .

---

(٢٨) ابن العربى : أحكام القرآن، القسم الرابع، ط.ثانية، ١٩٦٨، ص١٦٣٠.

إن سلطة الرسول لم تكن سلطة روحية فقط، بل كـــان حاكمـــاً يجمع فى يده بين السلطتين الزمنية والروحية وإن كانت حكومته تبـــدو دينية فى ظاهرها تعتمد على قوة إيمان المسلمين الأول، الذين أدركـــوا زمان الوحى، وشرفوا بصحبة صاحبه الذى لا ينطق عن الهوى .

وقد اعتمد الرسول على جهاز سياسى وإدارى، عقـــب قيـــام الدولة العربية الأولى فى المدينة المنورة، يعاونه فيما ألقى عليه مـــن مهام الحكم الكبيرة وفى مقدمته الوزارة بمعناها العملى .

وما من مرة استخدم ﷺ كلمة " وزير " فى أحاديثـــه التـــى تتعرض لمشاكل الهيئة الحاكمة، إلا وكان يعنى الشخص الذى يؤازر رئيس الدولة أعباء مسئولياته الجسام (٢٩).

وكانت الشروط والقواعد التى وضعها الرسول عليه الصـــلاة والسلام لاختيار العاملين فى هذا الجهاز السياســـى والإدارى كافيـــة لنظام دولة قوية سليمة البنيان، ووافية لتنظيم سياسى قـــابل للتطـــور وفقاً لاحتياجات كل عصر (٣٠)، لأنه لما كـــثر المســـتظلون بلـــواء

(٢٩) انظر : محمد أسد : منهاج الإسلام فى الحكم، ترجمة منصور محمد ماضى طبعـة ١٩٥٧ ص١١٧ .

(٣٠) انظر : محمد بخيت المطيعى : حقيقة الإسلام وأصول الحكم ص٢٤٢ .

الإسلام أراد ﷺ أن يضبط أمورهم بنظامات سنها، وولايات نصبها، وعمالات أسسها . تلك النظامات التى لا يستقيم ملك لملك، ولا أمر لأمة بدونها، إنه كان يستضاء فى المسجد النبوى بالعلوم والمعارف وتقسيم الوظائف وإيجاب الإخاء وتقدير الرجال، وتنظيم القوى الدفاعية وأسس وجوب ذلك، وقرر أصول الحقوق الدولية والحقوق المالية، وأوجب أصول الحروب والهدنة والمسالمة والمعاهدة وغيرها من الوظائف والأعمال الإدارية والاقتصادية والمالية، وكل ما يلزم لوجود الأمة على أمثل نظام (٣١) .

إن مدة حكمه عليه الصلاة والسلام مع قصرها لم تخل عن أعمالها هذه الوظائف المتعلقة بالمراتب الإدارية من الوزارة بأنواعها، والكتابة بأنواعها، والرسائل والقطاعات، وإدارة هذه العمالات . وتجد أنها كانت مسندة للأكفاء من أصحابه وأعوانه ﷺ .

ويدلك لذلك أن ثلث الشريعة الإسلامية عبادات، وأسرار تلك العبادات تتضمن سعادة بدنك وحياة روحك، زيادة على إخلاص

---

(٣١) انظر : د. مصطفى كمال وصفى : النظام الدستورى فى الإسلام مقارناً بالنظم المعاصرة، مكتبة وهبة، طبعة أولى ص٦٩، ٧٠ .

العمل لوجه الله . وبقية الثلثين معاملات دنيوية وكيفية الأخذ منها(٣٢).

وبعد وفاة الرسول كان خلفاؤه ﷺ يشرفون على كل شئون الدولة بأنفسهم مستعينين بوزراء وعمال فى جميع أمور الدولة وبخاصة الإدارية منها . وبهذا كان الوزير يساعد الخليفة على تنفيذ سياسة الدولة العامة وينوب عنه فى الحكم، ويشاركه الرأى، وتحمل المسئولية، وقد استقر منصب الوزير بعد أن تمهدت قواعده وتقررت قوانينه على رأس مناصب الدولة منذ عهد الخلافة العباسية وفيما تلى ذلك من عهود كتقليد أصيل من تقاليد الحكم الإسلامى .

بهذا يتضح لنا أن مدلول السلطة التنفيذية فى الإسلام لا يقتصر على رئيس الدولة فحسب بل يمتد ليشمل أيضاً جميع المتعاونين معه من مستشارين وعمال ووزراء وموظفين يعملون فى خدمته . بمعنى آخر أن السلطة التنفيذية تضم إلى جانب رئيس الدولة الأعلى، جميع القائمين بالوظائف العامة، ما عدا رجال السلطتين التشريعية (الفقهاء والعلماء المجتهدين) والقضائية (القضاة) .

---

(٣٢) انظر : عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربى، بيروت ص١٣،٩، ١٦ .

ويعنى هذا أن منصب الوزارة قد جاء فى الإسلام نظراً لصعوبة قيام الإمام بجميع شئون الأمة الدينية منها أو الدنيوية، ومن هنا كان لابد من الإنابة : أى لابد للإمام من أعوان وعمال يعينونه، كما يعهد إليهم بتأدية الوظائف المتعددة التى أقيمت الدولة من أجل أن تؤدى، فمنصب الوزارة، إذن، لتأدية الوظائف المختلفة، والمشاركة فى الرأى بالنسبة لرئيس الدولة، وهذا ما يعنيه الماوردى بقوله :

" لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له فى التدبير أصح فى تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل " (٣٣).

وكلمة استنابة التى تحدث عنها الماوردى " لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة " يقابلها ويؤدى معناها فى اللغة الإنجليزية Delegation of authority ويؤكد الماوردى ذلك فى مخطوطته " نصيحة الملوك " بقوله :

" إن الأعمال لا تستطاع إلا بالوزراء والأعوان " .

---

(٣٣) الماوردى : الأحكام السلطانية، تصحيح محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، ط. الخانجى بالقاهرة، ط. أولى ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م، ص١٨ .

ويقول ابن خلدون فى ضرورة استعانة الحاكم بوزراء وأعوان لحمل أعباء الحكومة والمشاركة فى تحمل مسئولية الحكم (٣٤).

" اعلم أن السلطان فى نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً، فلابد له من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم فى ضرورة معاشه وسائر مهنه، فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وما تعمهم به البلوى فى معاشهم ومعاملاتهم من نقد المعايش والمكاييل والموازين حذراً من التطفيف وإلى النظر فى السكة بحفظ النقود التى يتعاملون بها من الغش وإلى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له والرضاء بمقاصده منهم وانفراده بالمجد دونهم " .

ويجمع على القول بضرورة الاستنابة، بأن ينيب الإمام عنه أعواناً ووزراء وعمالاً يعهد إليهم بتأدية الوظائف العديدة كالدفاع وجمع الضرائب والإشراف على ديوان الرسائل وتعيين العمال كثير من العلماء نخص منهم بالذكر (الجوينى) و(الثعالبى) و(ابن أبى الربيع) و(أبو سالم الوزير)، إذ أن الحاكم أو الإمام لن يصل إلى ما يريد من أحكام التدبير وضبط الأمور إلا بحسن معونة الوزراء

(٣٤) ابن خلدون : المقدمة، تحقيق وتعليق على عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربى بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦م ٧٧١/٢ .

والأعوان التى تجرى على أيديهم الأعمال، وهذا هو نفس ما يقرره " ابن أبى الربيع " حيث يقول :

" لابد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الأمور ومعين على حوادث الدهور يكشف له صواب التدبير " (٣٥) .

ويشارك بالرأى فى ضرورة الاستنابة إمام الحرمين (الجوينى) فيقول :

" وليس من الممكن أن يتعاطى الإمام مهمات المسلمين فى الخطة وقد اتسعت أكنافها، وانتشرت أطرافها ولا تجد بداً من أن يستنيب فى أحكامها " (٣٦) .

إن قدر الإمام أو الحاكم يعلو وذكره يحسن بالوزير الصالح العادل الكفء الحكيم، والنبى عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وفصاحته وعظم درجته، أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه العقلاء فقال تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ .

---

(٣٥) ابن أبى الربيع : سلوك المالك فى تدبير الممالك، طبع حجر ١٢٨٦هـ ص١٢٢ . وانظر أيضاً : الجوينى : غياث الأمم فى التياث الظلم، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥١ ب ص والثعالبى : تحفة الوزراء، مخطوط بدار الكتب المصرية ٥ نحوش جـ٢ ص١٢ .

(٣٦) الجوينى : غياث الأمم ص٧٦ .

من هنا احتلت الوزارة، كولاية عامة، مكانة هامة فى الدولة، وأتت فى الترتيب بعد منصب الإمامة، كولاية ثانية عامة بل هى تساويه فى الوجهة العملية، لأن الإمام محمل بمسئوليات ضخام تقتضى أعمالا كثيرة، ولا يستطيع أن يقوم بهذه الأعمال بدون انتداب ومشاركة، واعتبرها ابن خلدون " أهم الخطط السلطانية، والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة " (٣٧) .

ويحلو لبعض كتاب الغرب ومفكريه، فى هذا المقام، الزعم بفارسية أصل الوزارة، والتى هى من أكمل نظم الدولة الإسلامية نموذجية (٣٨) .

ففى دائرة المعارف الإسلامية، وتحت كلمة (وزير) يسلم (فرانز بوبنجر) Franz Bubinger جدلا، بأن كلا من التسمية والنظام قد استعير أساسا من الإمبراطورية الفارسية الساسانية .

ويلتزم (آرثر كريستنسين) Arthur Christensen فى كتابه

(٣٧) ابن خلدون : المقدمة ٢/٧٧١ .

(٣٨) انظر فى هذا : س.د. جواتيانن : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصى وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٨٠ ص٧٩-٨٢ .

L'Iran Sous les Sassanides الذى صدر سنة ١٩٣٦ بـالرأى الذى سبق أن أورده منذ ثلاثين عاماً فى كتابه :

L'Empire des Sassanides, p.33 من أن (وظيفة الوزير منقولة نقلاً مباشراً عن الدولة الساسانية) [٣٩] .

ولكنه حين تحدث عن وصف وظيفة " فوزورج فرانا دهـاو" الساسانية، وهى الوظيفة التى زعم أنها النموذج الأصلـى لوظيفة الوزارة، لوحظ نقص مادته عنها حتى أنه استعان فى وصفها بمـادة الماوردى عن الوزارة، وهو فقيه ومشرع مسلم عاش فـى القـرن العاشر الميلادى .

ويقول فيليب حتى، ببساطة، عن الوزير إنه " . . . موظـف وظيفته أصلها فارسى " [٤٠] .

---

(٣٩) إن قائمة الكتب التى تمسكت بهذا الرأى كثيرة لا تحصى وأخـص بـالذكر كتابـاً تخصص لمعالجة هذا الأمر وهو كتاب :

Harlod Bowen : The Life and Times of Ali Ibn Isa . Good Vizier , Cambridge, 1928 .

يقول بوون (Bowen) فى ص١٤ من كتابه هذا : " إن كلمة وزير هى من أصـل فارسى، أدخلها العباسيون إلى دولتهم، وكان العباسيون قد نهجوا فى بلاطهم نـهج الساسانيين بقدر إمكانهم " .

(40) History of the Arabs (2nd edition) 1940, p. 318.

وفى حقيقة الأمر، فإن المصادر لم تقدم لنا ما يؤيد حقيقة افتراض اقتباس هذا النظام . وليست هذه النظرية سوى تعميم مجرد بنى على حقيقة مؤداها أن كثيرا من الفرس، وعلى رأسهم البرامكة المشهورين، قد تولوا منصب الوزارة فى الحكومة العباسية، وأن الكتب والأقوال التى وضعت عن فن إدارة شئون الدولة الساسانية قد أثرت على وجه العموم وبعمق شديد، فى الكتاب المسلمين .

ولكن كيف لنا أن نفسر أن عددا كبيرا من الوزراء لم يكونوا من أصل فارسى، وأنهم عرب الجنس، علاوة على ذلك، فإن البرامكة لم يكونوا أول الوزراء فى الإسلام . فقد سبق أن اتخذ النبى ﷺ الوزراء من رجاله وصحابته وفى مقدمتهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلى (رضوان الله عليهم أجمعين) . وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده فى اتخاذ وزراء وعمال لتسيير أمور الدولة .

وفوق كل ذلك فلقد كان أجداد البرامكة بوذيين، ولم يكونوا مجوسا (زرادشتين)، وتبعا لذلك فلم تكن لهم أى صلة بالإدارة الساسانية التى كانت متعصبة للمجوسية، وبالتالى فلم تكن الوزارة فارسية خالصة أو مقصورة عليهم .

إننا لسنا فى حاجة لأن نتحقق من الأصل الفارسى المزعوم

لكلمة وزير . فقد عالج الأستاذ (سبرنجلنج) M. Sprengling من شيكاغو هذه المسألة فى فصل من مقالة "من الفارسية إلى العربية"(٤١).

وجاء استنتاجه، بعد مناقشته الجذور الفارسية التى من الممكن أن تكون قد اشتقت منها كلمة وزير، على أن ليس لنا أن نستطيع إحراز الوضوح الدقيق لهذا الأمر، خاصة إذا علمنا أن كلمة (وزير) البهلوية تعنى " مستند قانونى " أو " قرار "، دون أن تفيد معنى الوظيفة أو المرتبة أو الرجل .

إن كلمة " وزير " هى فى حقيقتها كلمة عربية . ويؤيد المستشرق الهولندى الشهير De Goeje هذا الرأى من أن أصل الكلمة عربى واستشهد على ذلك بأمثلة كثيرة وردت فى كتب عربية كتاريخ الأمم والملوك للطبرى وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبية، وطبقات ابن سعد .

(41) American Journal of semitic language and literatures, 56(1939), pp. 331-336, quoting Noeldeke, 444.
Batthdomae, Sitzungs berichte der Skademie der Wissenschaften, 1920, V. 18, pp 39 sq. and at hers.

وعلينا أن نتذكر أن كلمتا (أخا ووزيرا) قد تجاورتا فى القرآن والشعر آخر عهد الأمويين .

فقد وردت كلمة " وزير " بأصلها العربى . فى القرآن بمعنى "المساعد" و "المعاون" (٤٢) .

وكذلك وجدت هذه الكلمة بوفرة فى الأشعار المعاصرة للنبى محمد عليه الصلاة والسلام . فقد وردت على لسان شعراء الإسلام الذين دافعوا عنه من أمثال شاعر الرسول حسان بن ثابت (ابن هشام– ج١٩ص٦٢٩) وكعب بن مالك (نفسه ج٤ ص٦٥٩) وعبلس ابن مرداس (نفسه، ج١٦، ص٨٦٠) .

كما شاع استعمال كلمة " وزير " فى العصر الأموى، وعلى سبيل المثال تقول الشاعرة هند بنت زيد فى زياد والى معاوية على العراق " له من شر أمته وزير " وتقصد بذلك معاوية، وتعنى أن له مساعدا هو من شرار خلق الله، بينما نجد شاعرا آخر هو حارثة بن بدر يقول مخاطبا نفس الرجل (زياد بن أبيه) .

---

(٤٢) انظر : الآيات الكريمة من ٢٩ إلى ٣٢ من سورة طه .

ألا من مبلغ عن زيـــادا

فنعم أخو الخليفة والأميـــر

فأنت إمام معدلة وقصـــد

وحزم حين تحضرك الأمور

أخوك خليفة الله بن حرب

وأنت وزيره نعم الوزير (٤٣)

وكذلك عرف العرب الوزارة فـــى ممـــالك العـــرب قبـــل الإسلام، وفى هذا يقول المسعودى (التنبيه والإشــراف ص٢٩٤) : إن العرب كـــانت تسـمى وزيـــر الملـــك مـــن ملـــوك اليمـــن والشام والحيرة : الراهن والزعيم والكافى والكامل، تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير، زعيم بصواب الرأى، كاف للملك مهمات الأمور، كامل الفضائل .

وكما نرى، فإن الزعم بالأصل الفارسى للوزارة بعيد كل البعــد عن الحقيقة الثابتة التى توضح عروبة الكلمة والمنصب والمهام.

(٤٣) الطبرى : تاريخ الرسل، طبعة القاهرة ١٩٦٣ ص٥ جـ٢٣، ٢٤ .

◈ التطور التاريخى لمنصب الوزارة فى الإسلام :

ظهرت الوزارة مبكرا فى العهد النبوى ترجمة لفحوى الآية الكريمة ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أزري. وأشركه في أمري﴾ . وقد استعان النبى بعدد من رجاله وصحابته قاموا فعلا بأعمال الوزراء، من أهمهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وكان النبىﷺ يشاورهم فى أمور الدولة العامة والخاصة .

وظل عمل الوزير يتمثل فى الاستشارة بعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى . إذ ظهر لفظ الوزارة، فى يوم سقيفة بنى ساعدة، بما يتضمن من معانى أخذ الرأى والاستشارة حين اجتمع المهاجرون والأنصار للتشاور فى أمر الخلافة، فقال الأنصار للمهاجرين : الإمامة فينا وفيكم، منا أمير ومنكم أمير . وقالت قريش : نحن عشيرة رسول الله، والإمامة فى قريش دون غيرهم ونحن أمراء وأنتم الوزراء (٤٤).

كما وجدت الوزارة بصفة فعلية أثناء الخلافة الصحيحة للخلفاء الراشدين، فقد كان لكل منهم وزراء ومستشارون ناصحون . ففى

(٤٤) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥٨٠/١ .

خلافة أبى بكر تولى عمر بن الخطاب القضاء، وتوزيع الزكاة على مستحقيها بأمر الخليفة، كما ولى ابن الجراح بيت المال قبل أن يسيره أبو بكر إلى الشام .

وكذلك كان شأن عثمان وعلى مع الخليفة عمر، فإنه كثيراً ما كان يستعين بهما فى أمور الدولة الدقيقة وأعمال الرعية . فقد قام على بكتابة الرسائل والنظر فى شئون أسرى المسلمين . كما استعان الخليفة عمر بعثمان واستعان برأيه فى بعض الأمور ذات الطابع القبلى لمعرفته بأحوال القبائل وأنسابها [٤٥] .

وقد كان الخلفاء الراشدون، إلى جانب اتخاذهم الوزراء من صحابة النبى، يستعينون فى إدارة شئون الدولة بمجلس من الشيوخ يتألف من كبار الصحابة وأعيان المدينة ورؤساء القبائل، وكانوا يجتمعون فى مسجد المدينة، ولا يقطعون أمرا دون استشارتهم، وبذلك كان نظام الحكم فى ذلك العهد نظاماً جمهورياً ديموقراطياً[٤٦].

وفى عهد بنى أمية استحالت الخلافة إلى ملك وراثى يقوم

---

(٤٥) انظر : د. صبحى الصالح : النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥ص٢٩٥ .

(٤٦) انظر : د. حسن إبراهيم حسن، د. على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص١٤٥ وما بعدها .

على السياسة والدهاء . وقد اتسعت المملكة فى عهدهم، وأصبح لزاماً على الخلفاء أن يستشيروا بعض ذوى الرأى ليكونوا لهم وزراء يقدمون لهم العون والنصيحة، ويتحملوا بعض أعباء المملكة . وقد عرف الوزير فى هذا العهد باسم " الكاتب " أو " المشير "، وكمثل على ذلك " عبد الحميد الكاتب "، الذى كان كالوزير لمروان بن محمد. ولا يستثنى من هذا إلا زياد بن أبيه الذى لقب بالوزير فى عهد معاوية بن أبى سفيان . ثم شاع بعد ذلك لفظ الوزير فى عهدهم. يدل على هذا ما يذكره المسعودى (٤٧)، من أن بعض شيوخ بنى أمية سئلوا بعد زوال ملكهم عن السبب فى ذلك فقالوا : إننا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورا دوننا، أخفوا علمها عنا " .

ولما جاءت الدولة العباسية تحددت معالم الوزارة وتقررت قوانينها وعظم شأن الوزير وجمع فى شخصه بين جميع شئون الحكم من مدنية وعسكرية مثل تنصيب العمال والإشراف على جمع الضرائب وعلى ديوان الرسائل، والقيام على موارد الدولة ومصروفاتها .

---

(٤٧) مروج الذهب، ط. دار التحرير ١٢٨/٢١ .

وظهرت فى خلافة بنى العباس وزارة التنفيذ ثم وزارة التفويض، كما شهدت الدولة العباسية نظام تعدد الوزراء وبلغت الوزارة الذروة فى هذا العهد، فصار اسم الوزير، كما يقول ابن خلدون فى مقدمته الفصل ٣٤، جامعاً لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى (البرمكى) بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة .

وقد أصبحت الكتابة سبيلاً للوزارة فى ذلك العهد، واشترط فى الوزير أن يكون كاتباً بليغاً، يساعده أعوان كثيرون يأتى فى مقدمتهم الكتاب .

ويشير ابن طباطبا صاحب كتاب (الفخرى) إلى أهمية منصب الوزير وتاريخ مركزه فيقول (٤٨) : " الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون فى طبعة شطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة، والأمانة والصدق رأس ماله . قيل : إذا خان السفير بطل

(٤٨) ابن طباطبا : كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٧هـ ص١٣٥-١٣٦ .

التدبير . وقيل : ليس لكذوب رأى، والكفاءة والشهامة من مهماته، والفطنة، والتيقظ، والدهاء والحزم من ضرورياته، ولا يستغنى أن يكون مفضالاً مطعاماً، ليستميل بذلك الأعناق، وليكون مشكوراً بكل لسان . والرفق والأناة والتثبت فى الأمور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لابد منه .

والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة، فكل منهم يجرى مجرى الوزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، وسمى الوزير وزيراً، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً " .

أما عن الوزارة فى مصر فقد ظهرت فى عصر الفاطميين وتولاها أرباب الأقلام من العلماء والفقهاء . فإذا ما أتى عصر المستنصر (٤٢٧-٤٨٧م) استحدث وزارة السيف، وأسند المنصب إلى أمير الجيوش بدر الجمالى الذى أصبح يتمتع بالسلطة المطلقة، وقبض فى يده خراج الدولة الفاطمية.

◈ الاشتقاق اللغوى لكلمة الوزارة ومعناها :

تعنى كلمة (وزير) المساعد، والمعاون، والمؤازر، وحامل الأعباء . وأصل مادة الوزارة (وزر). والوزر (بكسر الواو وإسكان الزاى) الحمل والثقل. يقال وزر، يزر فهو وازر، إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء. ومنه الحديث: قد وضعت الحرب أوزارها، أى انقضى أمرها، وخفت أثقالها فلم يتبق قتال.

والوزير كما جاء فى القاموس ولسان العرب حبأ الملك، الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه وتدبيره (٤٩).

واسم الوزارة يدل على مطلق الإعانة، والوزارة مكان الوزير، وهو المتحدث للملك فى أمر مملكته (٥٠).

والوزراء جمع وزير وهو الذى يلتجىء الأمير إلى رأيه وتدبيره، فهو ملجأ له ومفزع.

وقد روى فى اسم الوزارة ومعناها ثلاثة أوجه:

---

(٤٩) الحبأ: جليس الملك وخاصته. انظر: ابن منظور: لسان العرب. ط. صادر، بيروت ٤٣٧/١٩.

(٥٠) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ط. دار الكتب المصرية ٤٤٨/٥.

١- أنها مشتقة من الوزر (بكسر الواو) وهو الثقل، لأن الوزير يحمل عن الملك أو الخليفة أثقاله. ومنه قوله تعالى: "ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم" [٥١] أي أثقالا من أمتعتهم وحليهم.

٢- أو أنها مأخوذة من الوزر (بفتح الواو والزاي) وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [٥٢]. أي لا ملجأ، فسمي بذلك لأن الملك أو الإمام يلجأ إليه مستعيناً برأيه ومشورته.

٣- والثالث أنها مأخوذة من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر [٥٣].

وقيل أيضاً إن الوزير مشتق من الإعانة، لأن الوزير يعين الملك على ما هو بصدده من أعباء السياسة . وقد ورد عن الرسول قوله : " إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه " .

---

(٥١) طه: ٨٧.

(٥٢) القيامة: ١١.

(٥٣) انظر: الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٠ وكذلك ابن خلدون: المقدمة، الفصل ٣٤ في مراتب الملك.

وقد خضع لقب " وزير " بدءا بالخلافة العباسية ووفقا لتطور نظام الدولة الإسلامية لأسماء ومسميات كثيرة منها : الأخ فى الله، والسلطان، وسيف الإسلام، وصفى أمير المؤمنين وخالصته . والصاحب وتاج الرئاسة، وتاج الوزراء، والعادل، وشرف الأنام، والكامل، وكافى الدولة، وقوام الدولة، والمشير، ونجيب الدولة...الخ (٥٤) .

---

(٥٤) انظر : د. حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، طبعة ١٩٧٥م ص٥٩ .

نوعا الوزارة

تنقسم الوزارات إلى نوعين : وزارة التفويض، ووزارة التنفيذ وهذا ناتج أصلاً من تفرقة الفقهاء المسلمين بين نوعين من الإنابة : الأولى إنابة (التفويض)، والثانية إنابة (التنفيذ)، فعمال التفويض ولاة، وعمال التنفيذ نياب . ذلك أن التفويض ولاية لا تمنح إلا بعقد أما التنفيذ فمجرد انتداب، ولا يحتاج إلى تقليد، بل يكفى فيه الإذن .

ووزارة التفويض : معناها تفويض شئون الخلافة إلى وزير يتولى تدبير أمور الدولة وتصريف شئونها دون الرجوع إلى الخليفة. أى أن الخليفة يملك ولا يحكم Régner Sans Gouverner .

ويسميها (الثعالبى) الوزارة المطلقة، وهى عنده أكمل الولايات وأتمها، لاشتمالها على النظر فى أمور المملكة، وهى لا تحتمل الشركة لأنها وزارة تامة عامة، فالشركة تنقصها . وفى هذه الحالة لا يتبقى للخليفة إلا ولاية العهد، وعزل من يوليهم الوزير .

أما وزارة التنفيذ : فمعناها أن الوزير ينفذ أوامر الخليفة، ولا يتصرف فى شئون الدولة من تلقاء نفسه، بل يعرض عليه أمور الدولة ويتلقى أوامره فيها . وكما يقول (الثعالبى) أنها وزارة مقيدة خاصة،

تحتمل الاشتراك، " إذ لا تنقص ولا يتغير نظامـــها بذلـــك"(٥٥) إن دور الوزير فى هذه الوزارة لا يتعدى دور الوساطة بين الخليفة والرعية .

وزارة التفويض، إذن، أكثر عملا وعموميـــة، بحيـــث يملـــك الوزير مزاولة جميع سلطات الخليفة، الذى يملك ولا يحكم، كمـــا أن له أن يتصرف وفق علمه ورأيه واجتهاده، دون أن يرجع فى ذلـــك إلى الخليفة . وقد كان هذا حال الوزير البرمكى يحيى بـــن خـــالد، وولده جعفر بن يحيى فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف، وهى أكثر خصوصيـــة، لأن الوزير فيها تقتصر مهمته على مجرد تنفيذ أوامـــر الخليفـــة الـــذى يشرف على جميع تصرفاته، دون أن يكون من حقه أن يبرم أمرا من الأمور وفق رأيه واجتهاده .

◈ وزارة التفويض :

تتميز وزارة التفويض بالأهمية العظمى، والسلطة الاستقلالية، وتحتل رتبة أعلى من مرتبة وزارة التنفيذ .

وتجمع وزارة التفويض بين كفايتى السيف والقلم أى السلطتين

(٥٥) الثعالبى : تحفة الوزراء – وجه ورقة ٨ .

العسكرية والمدنية، وقد جعل السيف تحت القلم، كما روى عنه عليه الصلاة والسلام، وهى أعظم نظرا وأنفذ أمرا . وهذه الوزارة هى استيلاء على التدبير والعقد والحل والتقليد والعزل .

وقد سميت وزارة التفويض بوزارة السيف، حيث يتولاها رجال الحرب، أرباب السيوف ممن لديهم خبرة كاملة بتدبير الجيوش وتنظيمها – وهذا يكون فى بعض الأوقات التى تستلزمها ظروف الدولة . ومن هنا كان من غير الممكن أن يتولاها غير المسلم، لسيطرتها على شئون الأمة الإسلامية الإدارية والحربية والدينية .

ولكن من ناحية أخرى تعتبر الصفة المميزة لهذه الوزارة كونها وزارة قلم، يتولاها الرجل العليم بأسرار الحكم، الخبير بالسياسة المتقن لفنها، المثقف ثقافة واسعة .

ويعتبر الماوردى خير مترجم لمعنى الحديث النبوى الشريف الذى يقول : " خلق الله الدنيا للسيف والقلم، وجعل السيف تحت القلم" (٥٦) فالقلم هنا أو العقل هو خير مشخص لأمراض المجتمع، وواصف لأفضل الحلول الخاصة بعلاجها .

---

(٥٦) انظر : الماوردى : قوانين الوزارة، من تحقيقنا، مكتبة نهضة الشرق بالقاهرة ١٩٨٦ ص٥٢ .

ومن هنا كانت وزارة التفويض، التى هى فى الأصل وزارة قلم هى أفضل شكل من أشكال الحكومات التى يستعين رجالها بالمبادئ العقلية لعلاج مشاكل واقعهم السياسى، والحكم على الأحداث وتنظيمها . فعندما تنتاب الدولة الأسقام والأمراض، تأتى وزارة التفويض، ويحمل وزير التفويض فيها نفسه مهمة الطبيب من حيث التشخيص ووصف العلاج .

هذا الذى أشار إليه الرسول الكريم منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا بضرورة سيطرة العقل وهيمنته على القوة (السيف) متوجا إياه على مقعد القوة، هو ما سوف ينشغل ببحثه بعد ذلك بقرون وقرون الفلاسفة السياسيون محاولين الإجابة فيه عن كيفية توافق القوة مع المعقولية فى المجتمعات . فإذا كانت السياسة فى أكثر معانيها انتشارا هى علم القوة وتنظيمها فى المجتمعات (٥٧) . فإن الفلسفة هى تنظيم مستمر لعملية التعقل، واكتشاف المبادئ المنظمة للتطبيق العلمى من خلال الدولة التى تعتبر أداة يمكن لها تحقيق هذا التوفيق بين القوة والعقل فى المجتمع . وقد يحدث أن تنجح الدولة فى

(٥٧) انظر : Duverger : Introduction a la politique, Paris, N.R.1964.

إخضاع القوة للعقل، وقد تهدف إلى أن يكون مثلها الأعلى هو تتويج العقل على مقعد القوة، ولكن يحدث فى الغالب أن تفشل فى ذلك[٥٨].

وقد تولى إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ-٨٧٠-٨٩٢م) منصب وزير التفويض (رئيس الوزراء الآن)، وجمع فى يده السيف والقلم أى السلطتين المدنية والعسكرية .

وقد رفض الوزير الشهير (نظام الملك) (١٠١٨-١٠٩٢م) الاعتراف بنظرية الوزارة بالتفويض المطلق، والجمع بين السلطتين العسكرية والمدنية، وأن يملك وزير التفويض سلطات غير مقيدة[٥٩]

ومعنى هذا أن الوزير نظام الملك يرفض الاعتراف بأى شكل من أشكال الحكم العسكرى الديكتاتورى .

☐ اختصاصات وزير التفويض :

وتعرف وزارة التفويض بأنها هى : " أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده"[٦٠] فوزير

---

(٥٨) انظر : د. أميرة حلمى مطر : فى فلسفة السياسة، ط. دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٥، ص٥ .

(٥٩) انظر : س.د. جواتيانن : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ص١٠٦

(٦٠) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص١٨ .

التفويض هنا يقوم مقام الإمام، وهو ليس واسطة مثل وزير التنفيذ، ذلك أن وزارة التفويض هى وزارة عامة تامة . وولاية وزير التفويض عامة فى كل الأمور وكافة الأعمال . وله أن ينظر فى المظالم ويستنيب فيها، ويجوز أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه . ويجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التى دبرها، وأن يستنيب فى تنفيذها، لأن شروط الرأى والتدبير فيه معتبرة . كما أن له الحق فى التصرف فى أموال بيت المال بما فيه صالح المسلمين . فالقاعدة العامة هى " أن كل ما صح من الإمام صح من الوزير " .

ومعنى هذا أن لوزير التفويض أن يمارس صلاحيات الإمام ماعدا ثلاثة أشياء :

أحدهما : أن للإمام أن يعهد إلى من يرى، وليس ذلك للوزير.

الثانى : أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة (أى أن يعلن للناس استقالته)، وليس ذلك الوزير .

والثالث : أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام إلا بإذن خاص منه .

ونظرا لأهمية وزارة التفويض، والدور الكبير الذى تلعبه فى

حياة الفرد والمجتمع، والصلاحيات المخولة إلى وزير التفويض، فقد حدد الفقهاء ضوابط معينة تحول بين وزير التفويض وبين التسلط على أمور الدولة أو الاستبداد وإلغاء سلطة الإمام أو تعطيلها كلية فقالوا : إنه يجب على وزير التفويض الرجوع إلى الإمام، وإحاطته علما بما قام به حتى يكون الإمام على علم بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية وتقليد، كما أنه يجب على الإمام أن يتصفح تصرفات الوزير وتدبيره الأمور، ليقر منها ما وافق الصواب، ويلغى ما كان مخالفا للشريعة " لأن تدبير الأمة إليه موكول، وعلى اجتهاده محمول " (٦١) .

وولاية التفويض، كولاية عامة تامة، لا تصح إلا بعقد وصيغة وتولية صحيحة لها من الإمام، ولا يكفى لها مجرد الإذن . والإمام حين يعقد عقد التفويض فإنما يعقده بالنيابة عن الأمة لا عن نفسه . وبالتالى فإن سلطة وزارة التفويض التى تمنح بمقتضى هذا العقد تكون سلطة استقلالية، وكل المقلدين للمناصب بعقود التفويض، ومنها وزارة التفويض، يقفون من الإمام على قدم المساواة . والذى يشترط فى صيغة التولية لوزارة التفويض شرطان :

---

(٦١) المصدر السابق، ص٢٠ .

الأول : أن تشتمل على عموم النظر .

الثانى : على النيابة .

فإذا اقتصر على عموم النظر دون النيابة، أو العكس لم تنعقد بذلك الوزارة . ومثال صيغة التولية القانونية أن يقول الإمام : (قد قلدتك مالى، نيابة عنى) أو أن يقول : (قد فوضنا إليك الوزارة) . أما إن قال مثلا (انظر فيما إلى) – فقط أو قال : (قد قلدتك وزارتى أو الوزارة) فإن وزارة التفويض لا تنعقد بهذه الصيغة(٦٢).

إن وزارة التفويض يجب أن تشتمل ألفاظها على عموم النظر والنيابة معا، لأنها عقد بين الإمام والوزير المفوض .

❑ شروط وزير التفويض :

اشترط المفكرون المسلمون فى وزير التفويض عدة شروط هى نفسها شروط الإمامة فيما عدا النسب القرشى الذى يعنى الشوكة والعصبية وقد أصبح هذا الشرط غير ذى بال منذ وقت طويل .وهذه الشروط هى:

---

(٦٢) المصدر السابق، ص١٩ .

الإسلام والعدالة، والعلم، والكفاءة، والكفاية الجسمية والنفسية، والأمانة، والصدق، والشهامة .

ثم هناك شرط زائد لوزارة التفويض على شروط الإمامة، وهو أن يكون المرشح من أهل الكفاية والمعرفة والدراية بتفاصيل الشئون الحربية والإدارية .

وما هذا التشدد فى اشتراط هذه الشروط إلا لعلم الفقهاء بأن صلاح السلطان وتقدم الدولة إنما يكون بصلاح الوزير الذى يجمع فى يده زمام الحل والعقد والقبول والرد والنهى والأمر والإثبات ومن هنا كان القول الحكيم (لا تسأل عن السلطان وسل عن وزيره) .

وشبيه بهذا ما يذهب إليه (مكيافللى) صاحب كتاب الأمير الذى يقول : " انتخاب وزراء الأمير أمر ذو صعوبة كبرى، فإما يكون الوزراء صالحين لعملهم وإما غير ذلك . وأول حكم يصدره الناظر على عقل الأمير ينبه على صفات الرجال الذين حوله، فإن كانوا أكفاء وأمناء ثبت عقل الأمير وحكمته، وإن كانوا عكس ذلك كان الضد، لأن أول خطأ ارتكبه هو اختياره السيئ [٦٣] .

---

(٦٣) مكيافللى : كتاب الأمير، ترجمة محمد لطفى جمعة، ص. دار المعارف بمصر ص١٨١ .

لذلك اشترط (الطرطوشى) فى كتابه (سـراج الملـوك) : أن يكون الوزير مكين الرحمة والخلق، وأن يكون نقى الجيب لا يقبـل دقيقة، وأن يكون معتدلا . وموقع الوزير مـن الملـك هـو موقـع الملك من العامة . وكما أن السلطان إذا صلـح صلحـت الرعيـة، وإذا فسد فسدوا، كذلـك الـوزراء إذا فسـدوا فسـد الملـك، وإذا صلحوا صلح الملك[٦٤].

❑ تعدد الوزارة :

والتعدد فى وزارة التفويض غير جائز، حيث يقوم الوزير مقام الإمام . وإذا كان التعدد غير جائز فى هذه الوزارة، فإنه يجوز فـى وزارة التنفيذ . كما أنه يجوز للإمـام أن يقلـد وزيريـن : وزيـر تفويض، ووزير تنفيذ، ليكون وزير التفويـض مطلـق التصـرف، ووزير التنفيذ مقصورة مهمته على تنفيذ ما وردت به أوامر الإمام . فالتعدد جائز فى وزراء التنفيذ، وغير جائز فى وزراء التفويض .

◈ وزارة التنفيذ :

ووزارة التنفيذ هـى وزارة أكـثر خصوصيـة مـن وزارة

(٦٤) انظر : الطرطوشى (أبو بكر محمد بن الوليد) : سراج الملوك طبعة عـام ١٢٨٩، ص٧١-٧٢ .

التفويض لقصورها عما اشتملت عليه وزارة التفويض . فهي بهذا أقل أهمية إذ يكون الوزير فيها وسيطا فقط بين الإمام ورعايله . ولا يتمتع الوزير في هذه الوزارة بالاستقلال الذاتي ويعوزه الرأي والاجتهاد، لأن النظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبيره . ويجوز له أن يشارك الإمام في الرأي، وهذا ما يجعله خليقا باسم الوزارة، وإن لم يكن له أن يستقل بذلك، فإن لم تجعل له المشاركة في الرأي، كان منصبه أشبه بالوساطة أو السفارة (٦٥) . والسفارة تكون بين الإمام ورعيته أو بينه وبين عماله كما تشمل السفارة أيضا اختيار الموظفين والمسئولين، واستيفاء حقوق الدولة . ويشترط في السفير الكفاءة، وجودة الحدس، والاختيار وقلة الاغترار .

تقتصر مهمة وزير التنفيذ، إذن، على تنفيذ ما يأمر به الإمام فقط نظرا لانعدام تمتعه بالاستقلال الذاتي . وهو يحتاج دائما إلى مشورته ومراجعته في أكثر الأمور والحوادث . فالرأي والاجتهاد يبقى للإمام . ومهام وزير التنفيذ أن يبلغ ويباشر تنفيذ ما يرد إليه من أوامر، ويمضي ما يصدر عن الإمام من أحكام، لأنه يعتبر بمثابة وسيط بين الرعايا والولاة، كما سلف القول، وهو غير مستقل بذلك.

---

(٦٥) انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية : ٢١ .

ومعنى هذا أنه ليس له حق الولاية المحضة، أى حق التقليد، أو تعيين أحد استئنافا .

ومن اختصاصات وزير التنفيذ، أيضا، أو وزير (التقييد) كما يسميه "الثعالبى" ت٤٢٩هـ، أن يتصفح أحوال العمال الذين يعملون فى دواوين الدولة وإداراتها الخاصة . وعليه أن يصغى إلى ظلامات الرعية فيمضى ما تيسر له .

ومن اختصاصاته، أيضا، أن يمد الإمام برأيه ومشورته، وأن يكون له عينا ناظرة، وأذنا سامعة، يخبره بما رأى وسمع عن صدق ويقين " لأنه سوهم بالملك، وميز بالاختصاص وندب للمصالح، فلزم أن يتخصص بمصالح الملك، فيقوم مقامه فى مشاهدة ما غاب وسماع ما بعد ليقدمه على من سواه " (٦٦).

ومن اختصاصات وزير التنفيذ، أيضا، أن يوضح للإمام حقائق الأمور فى الدولة، ويساوى فيها بين الصغير والكبير .

وأن يفتدى راحة الإمام بتعبه، ويقى دعته بنصبه .

ويوضح " الثعالبى " وظائف وزير التنفيذ، أو وزير التقييد كما

---

(٦٦) الماوردى : قوانين الوزارة، ص٩٨ .

يسميه، بأنه ينظر فى جميع الدواوين ويستعرض أعمالهم، ويقوم معوجهم، ويصلح فاسدهم، ولا يعزل الولاة، ولا يصرف من كان على رءوس الدواوين والأعمال الجلية إلا بأمر الملك، لأنه كالواسطة بين الملك والرعية . ولهذا قيل إن هذا الوزير لا يحتاج إلى ولاية تقليد لأنه مأمور فى كل قضية (٦٧).

ويكفى فى تعيين وزير التنفيذ مجرد إذن من الإمام أو صاحب السلطان، فإن التعيين فيها لا يحتاج إلى عقد، وصيغة خاصة، لأنه مأمور فى كل أمر وقضية .

❐ شروط وزير التنفيذ :

إزاء هذه المهام والاختصاصات لا يشترط فى المتولى لهذه الوزارة العلم بالأحكام الشرعية أو القدرة على الاجتهاد، لأن وزير التنفيذ ليس له أن يحكم ويصدر الأحكام أو يقضى برأيه . وكذلك لا تشترط الحرية، لأن وزير التنفيذ ليس له أن ينفرد بتولية أو تقليد . من هنا صارت شروط هذه الوزارة أقل من الشروط التى ينبغى توفرها فى وزارة التفويض . وفى هذا يقول " الثعالبى " : " لا يعتبر فى وزير التنفيذ (التقييد كما يسميه) ما يعتبر فى الأول (وزير

---

(٦٧) أبو منصور الثعالبى : تحفة الوزراء ظهر ورقة ٩ .

التفويض) من العدالة والحرية والعلم، بل يعتبر فيه الأمانة والصدق، فإنه سفير بين الملك وأهل المملكة . . وينظر فى أمر الرعية ويسمع شكاواهم ويرفع رقاعهم " (٦٨) .

فالشروط التى تشترط لوزير التنفيذ هى إذن ما يلى :

١- الأمانة، حتى لا يخون فيما قد أؤتمن عليه، ولا يغش فيما استنصح فيه .

٢- صدق اللهجة، حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما ينهيه .

٣- قلة الطمع . أو التعفف، حتى لا يقبل رشوة فيحابى .

٤- خلو قلبه من عداوة الناس، لأن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف .

٥- قوة الذاكرة وحضورها، حتى يحسن أن يؤدى إلى الخليفة وعنه.

٦- الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور .

٧- أن لا يكون من أهل الأهواء، فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل،

(٦٨) المصدر السابق ظهر ورقة ٩ .

فإن الهوى خادع الألباب وصارف عن الصواب، ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام : " حبك الشىء يعمى ويصم"(٦٩) .

٨- أن يكون مطبوعا على العدل، غير عسوف، بل رقيقا فى معاملاته مع الآخرين .

٩- الحنكة والتجربة التى تؤدى إلى صحة الرأى وصواب التدبير .

وهذا الوصف يجب توافره فى حالة ما إذا كان هذا الوزير مشاركا فى الرأى، فإن لم يشارك لم يحتج إلى هذا الوصف .

ويجوز أن يتولى وزارة التنفيذ رجل من أهل الذمة أو بمعنى آخر من أهل الكتاب مسيحيا كان أم يهوديا، إذ أن الإسلام ليس شرطا لمن يتولى هذه الوزارة . وهذا بخلاف وزير التفويض الذى تتضمن ولايته أمور المسلمين وأمور الدفاع والمالية، ولا يجوز فى مثل هذه المناصب أن يعهد بها إلى رجل ذمى .

وإن دل هذا على شىء فإنما يدل دلالة قاطعة على تسامح

---

(٦٩) انظر : أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى، القاهرة ١٩٦٦م، ص٣١ . ود. محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث بالقاهرة الطبعة السابعة ١٩٧٩م . ص٢٦٧، وانظر الماوردى : الأحكام ص٢٢ .

الإسلام وسمو تعاليمه ونبل مبادئه . وبالمقابل إذا نظرنا إلى بعض الدول الأوروبية، لوجدناها حتى الآن تحرم أن يشغل منصب الوزارة فيها ويصل إليه من هو مخالف لهم فى الدين، بل من يخالفهم فى فرع من المذهب . فلا توافق الدول الأوروبية التى تدين بالمذهب البروتستانتى على تعيين من يدين بالمذهب الكاثوليكى فى المناصب الهامة فيها، فى حين أباح علماء الإسلام ومشرعوه منذ قرون عديدة، أن يلى الوزارة والمناصب الهامة فى الدول الإسلامية رجل على غير الدين لا المذهب .

وضح لنا، إذن، أن هناك فروقا بين وزارتى التفويض والتنفيذ فبينهما فروق من جهة الشروط، وفروق أخرى من ناحية الاختصاص . وأن الفروق بينهما فيما يتعلق بالشروط المطلوبة فى كل منهما، يرجع إلى الاختلاف فى الاختصاصات :

فأما الفروق بين وزارتى التفويض والتنفيذ من جهة الشروط :

١- فالحرية معتبرة فى وزارة التفويض وغير معتبرة فى وزارة التنفيذ.

٢- والإسلام معتبر فى وزارة التفويض، وغير معتبر فى وزارة التنفيذ

٣- والعلم بالأحكام الشرعية (الاجتهاد) معتبر فى وزارة التفويض، وغير معتبر فى وزارة التنفيذ .

٤- المعرفة بأمرى الحرب والخراج معتبرة فـــى وزارة التفويــض وغير معتبرة فى وزارة التنفيذ .

وأما من ناحية الاختصاص (حقوق النظر) :

١- فإنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فـــى المظـــالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٢- ويجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٣- يجوز لوزير التفويض أن ينفـــرد بتســيير الجيــوش، وتدبــير الحروب، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٤- أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيـــت المـــال للمسلمين، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

كما تختلف الوزارتان فى أصل التقليد والعزل من ستة أوجه :

١- يقلد الإمام وزير التفويض فى حقوقه وحقوق رعيته، حيث يقــوم الوزير بتنفيذ الأمور حسب رأيه وعلمه واجتهاده . أمـــا وزيــر التنفيذ فينفذها حسب أوامر الإمام دون أن يغير أو يبدل فيها .

٢- تحتاج وزارة التفويض لمباشرة أعمالها إلى عقد صحيح يصـــدر

لها من الإمام . أما وزارة التنفيذ فلا تحتاج إلى مثل هذا العقد، بل يكفى فيها إشارة البدء للقيام بتنفيذ ما يصدر عن الإمام .

٣- إن وزير التفويض يحاسب على ما أصدره من قرارات أما وزير التنفيذ، فإنه لا حساب عليه لأن مهمته قاصرة على تنفيذ ما أمر به الإمام .

٤- لا ينعزل وزير التفويض إلا بالقول الصريح من الإمام حيث تولى الأمور بعقد، أما وزير التنفيذ فينعزل بانصراف الإمام عنه وتركه بلا عمل .

٥- لا ينعزل وزير التفويض بمجرد كفه عن العمل وتركه الوزارة، إلا بعد صدور قرار صريح من الإمام بإعفائه من عمله، أما وزير التنفيذ فينعزل بمجرد ترك العمل وتقديم الاستقالة .

٦- تفتقر وزارة التفويض، كولاية عامة، إلى كفاية السيف والقلم، في حين لا تحتاج إليهما وزارة التنفيذ، لقصورها عنهما .

وقد كان أكثر وزراء الفرس وزراء تنفيذ، وأكثر وزراء الإسلام وزراء تفويض (٧٠).

---

(٧٠) انظر : الماوردى : قوانين الوزارة ص١٠٠-١٠١ .

◈ في الحقوق المشتركة بين الوزارتين :

وبالرغم من كل ذلك، هناك أوجه للالتقاء بين الوزارتين هي:

١- أن يكون الوزير بأعباء الوزارة ناهضا، ومقدما للصالح العام على صالح نفسه .

٢- أن يكون الوزير قادرا على الكد والتعب، وأن يصبر في السخط والرضا، وأن يتوصل إلى راحته بالكد والنصب .

٣- أن يخلص الوزير نيته في طاعة الخليفة، ويكون سره كعلانيته.

٤- أن يستوفي للإمام ولا يستوفي عليه، ويتأول له ولا يتأول عليه.

٥- أن يراقب الوزير الله في السر والعلن .

٦- أن يقدم حق الله على حق الإمام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد روى عن النبي، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: " من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب أخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى " .

٧- أن يكون الوزير خبيرا بأحوال الرعية، وأن يشرف على الأعمال

ويتابعها بنفسه، وعليه أن لا يكل إلى غيره ما يختص بمباشرته للدعة وإيثارا للراحة .

◈ الوزارة فى القديم والحديث :

بعد هذا الاستعراض لأحكام الوزارة وأنواعها، نود أن نرى مدى التشابه والتطابق مع نظم الوزارة المعمول بها فى الوقت الحاضر.

فنحن نجد أن منصب وزير التفويض يكاد ينطبق على منصب "الوزير الأول" أو " رئيس الوزراء " كما تعرفه الأمم الحديثة الآن .

وأوضح الأدلة على ذلك أنه لا يجوز أن يتعدد . وهذا الوزير مطلق التصرف، عام الولاية والنظر، وهو يقوم مقام رئيس الدولة، إلا أنه مقيد، الآن فى القيام بأعباء وظيفته، وفى أمور كثيرة برأى مجلس الوزراء .

ويقول (هارولد لاسكى) فى هذا الصدد :

" من البين أن نوعا من الصدارة يختص به رئيس الوزراء (أو الوزير الأول أو وزير التفويض كما يسميه الفقهاء المسلمون)، فهو زعيم الحزب وزعيم المجلس التشريعى على السواء، وهو أكثر من أى فرد سواه يختص بالمسئولية . إن عليه أن يقود فريقا، وأن

يقنع زملاء متنافرين بالانسجام . إن أنجح الوزارات ما فتئت هي تلك التي مكن فيها لرئيس الوزراء أن يفرض إرادته على زملائه بسلطان لا يستطيع عضو سواه أن يدعيه لنفسه . . ونود أن نؤكد هنا أنه ليس معنى هذا أن رئيس الوزراء يحق له أن يتخطى زملاءه . . فإن ذلك يفضى إلى تركيز السلطة مما يعنى دواماً أن القرارات تصدر عن جهالة " (٧١).

ويقول لاسكى أيضاً : الوزير الأول يشغل مركزاً ملحوظ السلطة بين أقرانه . . . وعليه أن يوالى الإطلاع على الخطوط العريضة للأحداث التى تجرى فى شتى إدارات الدولة " (٧٢).

ونسجل هنا أن منصب رئيس الوزراء، أو نظام الوزراء هذا، لم يعرف فى الأمم الغربية، ولم يهتد إلى فكرته رجال الفكر الدستورى فى الغرب، إلا فى القرن السابع عشر، ثم لم تحدد مهمته تماماً إلا بعد ذلك .

ففى بداية القرن السابع عشر بدأت تظهر فى المؤلفات

---

(٧١) هارولد لاسكى : أصول السياسة، ترجمة محمود فتحى عمر وإبراهيم لطفى عمر، مراجعة د. بطرس غالى، دار المعارف بالقاهرة ٨٨/٣ .

(٧٢) المصدر السابق : ٩٠/٣ .

الإنجليزية نعوت مختلفة تدل على وجود مركز ممتاز لأحد خدام الملك أو مستشاريه . فجاء مثلا فى رواية إدوارد الثانى لمارلو Marlowe على لسان الملك " إننى أجعلك اللورد، كبير الأمناء، المستشار الرئيسى للدولة Chief Secretary of State ونقرأ فى إحدى عبارات شكسبير على لسان هنرى الثامن لوزيره وولزى Wolsey " ألم أجعلك رجل الدولة الأول " . وفى مؤلفات أخرى استعملت نعوت أخرى كوزير الدولة الأول

Prime Minister of State

First Minister of State

والوزير الأول Prime Minister(٧٣) .

وفى بداية القرن الثامن عشر ابتدأ استعمال لقب الوزير الأول يستقر فى المؤلفات المختلفة . ونعت به فعلا كلا من روشستر Rochester وسندرلاند Sunderland من وزراء جيمس الثانى، كما أطلق هذا اللقب أيضا على بعض مستشارى أسرة ستيوارت .

على أن الوزارة فى ذلك العهد القريب كانت تعتمد على ثقة

(٧٣) انظر : د. السيد صبرى : الوزير الأول فى إنجلترا، مكتبة وهبة بمصر ١٩٤٧، ص٢ وما بعدها .

الملك فهو وحده صاحب الحق فى تعيين وعزل رجاله ومستشاريه . وعلى ذلك كان مركز رئيس الوزراء (أو الوزير الأول) غير واضح، كما أن حقوقه لم تكن معروفة ولا معينة . وكان أهم عمل له فى ذلك العهد السعى للحصول على موافقة البرلمان على ما يريد الملك، المحرك الأول للحكومة (٧٤) .

ومن البدهى والأوضاع على هذا النحو ألا يكون هناك مجال لمنصب الوزير الأول، ما دام الملك هو الرئيس الفعلى للوزارة أو رئيس السلطة التنفيذية الأعلى .

ثم تطور منصب الوزير الأول للدولة (أو منصب رئيس الوزراء) شيئا فشيئا فى عهد الملكة آن من ١٧٠٢-١٧١٤م . فعندما عينت الملكة روبرت هارلى Robert Harley وزيرًا للخزانة لم يلبث أن أصبح مبعث النشاط الحكومى، إذ كان يشرف على جميع الأعمال الحكومية حتى أكثرها بعدا عن اختصاصه، كما كان يعالج المسائل الخارجية جميعا (٧٥).

ولم يكن من حق الوزير الأول فى ذلك العهد أن يختار زملاءه

(٧٤) انظر : المصدر السابق ص٥٤ .

(٧٥) انظر : المصدر السابق ص١٣-١٤ .

ولا أن يعزلهم، وكان وصوله إلى منصبه هذا بحكم كونه موضع ثقة الملكة الشخصية . ومن هنا فقد هذا المنصب صفته الفعلية، ولم يعد له، فى حقيقة الأمر، وجود من الناحية القانونية .

ثم استقر منصب رئيس الوزراء عندما تولى (والبول Sir Robert Walpol) منصب الوزير الأول من عام ١٧٢١-١٧٤٢م، وكان بهذا أول رئيس وزراء بالمعنى الحديث فى تاريخ إنجلترا، لنجاحه فى الحصول على ثقة كل من جورج الأول والثانى لمدة عشرين عاما، مارس فى خلالها جميع السلطات التى لم يستحوذ عليها وزير أول من قبله . فكان من حقه أن يشرف على جميع أعمال الدولة، ويعين الوزراء من زملائه ويعزل كل معارض لسياسته، ويراقب اتجاهات الرأى العام ويعمل على تحقيقها بصرف النظر عن مقدار اتفاقها ووجهة نظره . وقد كان لهذا أثره فى اعتراف زملائه به، الذين قبلوا اتباع وسائل ثابتة محددة لإدارة أمور الدولة، وأصبح هناك نظام متفق عليه تخضع له مصالح الحكومة (٧٦) .

أما عن وزير التنفيذ فإن مركزه يشابه مركز الوزير فى

---

(٧٦) انظر : د. السيد صبرى : الوزير الأول فى إنجلترا ص١٦-٢٠ .

النظام الأمريكي الرياسي، حيث يعد بمثابة سكرتير لرئيس الدولة مهمته تنفيذ إرادة الرئيس وسياسته، وهذا بخلاف وزير التفويض الذي يشابه مركزه مركز زميله في النظام البرلماني حيث يشترك الوزير مع رئيس الدولة في الحكم، وحيث نجد أن الوزارة هي التي ترسم في الواقع سياسة الحكم .

وإذا كان من غير الجائز أن يتعدد وزراء التفويض، إذ يسرى على وزير التفويض ما يسرى على رئيس الدولة، فإنه يجوز، من ناحية أخرى، أن يتعدد وزراء التنفيذ من حيث إنهم ينفذون قرارات مجلس الوزراء ويمضون الأحكام . إن كل واحد من وزراء التنفيذ يختص بالنظر في ناحية خاصة محددة . فهذا للتعليم، وهذا للمالية، وهذا للزراعة وهذا للدفاع، وهكذا . وفي هذه الحالة فإنهم يسمعون " ولاه " على أعمال مختلفة .

حقيق علينا، إذن، أن نسجل لفقهاء الإسلام، المدى الذي وصل إليه تفكيرهم في المسائل الدستورية والنظم الإدارية، فقد توصلوا بفكرهم العميق ونظرهم الصائب إلى تصور منصب وزير التفويض، الكبير الأثر، وحدوده بأوصافه وشروطه، كما حددوا أيضا أوضاع وسلطات واختصاصات الوزراء الآخرين (وزراء التنفيذ)، وذلك قبل الأنظمة والدساتير الحديثة بقرون عديدة .

مسئولية الوزارة

المسئولية فى الإسلام مسئولية عامة شـاملة، تشمل جميع المخلوقات العاقلة، دون تفرقة بين أمير ووزير وبين أى فـرد من أفراد الرعية . وإذا عمدنا إلى الجانب الاشتقاقى وجدنا أن عبارة (كونه مسئولا être responsable) تعنى : " كون الفرد مكلفا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حسابا إلى زيد من الناس " (٧٧).

وتتطلب المسئولية فى الإسلام التزام الإنسان القيام بعمل ما أو الامتناع عنه كما تتطلب فكرة الجزاء إما بالثواب أو بالعقاب .

ويوجد فى الإسلام ثلاثة أنواع من المسئولية : المسئولية الدينية، والمسئولية الاجتماعية، والمسئولية الأخلاقية .ويشير إلى هذه المسئوليات الثلاث قوله تعالى (٧٨): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧٩) .

---

(٧٧) د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة ببيروت ودار البحوث العلمية بالكويت، الطبعة الرابعة، الكويت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص١٣٦.

(٧٨) انظر المصدر السابق ص١٤١-١٦٣ .

(٧٩) الأنفال : ٢٧ .

وتتمايز المسئوليات الثلاث بعضها عن البعض الآخر من حيث الصفات والشروط الخاصة .

فالمسئولية الدينية لا تظهر واضحة إلا يوم الدين، وجزاؤها يلمس النفس والجسم معاً بعقوبة رهيبة، أو بجزاء حسن فى حياة النعيم الخالدة .

أما المسئولية الاجتماعية فلا تقوم إلا خلال آجال تتفاوت طولاً وقصراً، والجزاء المترتب عليها يلمس مباشرة أجسامنا، وأموالنا وحقوقنا المدنية .

وتتميز المسئولية الأخلاقية بأنها فورية وثابتة وجزاؤها نفسى.

فمن أوقع أذى بالآخرين نال جزاءه من عذاب الجحيم وسخط المجتمع وتأنيب الضمير .

والمسئولية الأخلاقية، هى فى حقيقتها، مسئولية دينية . وفى هذا نجد أن القرآن الكريم لا يكتفى حين يستحث المؤمنين إلى الطاعة، بأن يذكرهم بالأمر الإلهى، بل يذكرهم فى الوقت نفسه، بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم بأن يطيعوا هذا الأمر : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٠)، ﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾(٨١)

---

(٨٠) الحديد : ٨ .

(٨١) المائدة : ٧ .

وتشترك المسئولية الأخلاقية مع المسئولية الدينية فى شمول كل منهما للأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة (الخفية)، واستخدام الملكات والقدرات وكل مال طبيعى موروث أو مكتسب. يدل على هذا كله قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (82). ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾(83)، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الْكِتَاب لاَ يُغَادر صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (84).

كما وردت أحاديث نبوية توضح المعنى السابق، وأن كل فرد فى مجاله مسئول عن حسن سير الأمور، العامة والخاصة، التى وكلت إليه، منها على سبيل المثال : " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله

(82) البقرة : 284 .

(83) الإسراء : 36 .

(84) الكهف : 49 .

ومسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته " (٨٥) . وقوله عليه الصلاة والسلام : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ؟ وعن عمله فيما عمل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه " (٨٦).

أما عن شروط المسئولية، فإننا نلحظ تشابها بين شروط كل من المسئولية الأخلاقية والدينية واختلافا عن المسئولية الاجتماعية ويظهر هذا واضحا فيما يلى :

◈شروط المسئولية الأخلاقية والدينية :

١- الطابع الشخصى المحض للمسئولية :

توضح النصوص القرآنية التالية، أن المسئولية الفردية الأخلاقية والدينية هى مسئولية شخصية محضة، وأن الثواب والعقاب، لا يمكن أن يتأتى فيهما أى تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء . ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا**

---

(٨٥) البخارى : كتاب الوصية – باب ٩ .

(٨٦) الترمذى : كتاب صفات القيامة – باب ١ .

كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٧). ﴿ لَهَا مَا كَسبتْ وعلَيْهَا مَا اكْتَسبتْ ﴾ (٨٨) ﴿لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُو جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئا﴾(٨٩)، ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (٩٠)، ﴿وأنْ ليْسَ لِلإنْسَانِ إلاّ مَا سعى﴾(٩١) .

٢- العلم مسبقا بالأحكام موضوع المسئولية :

يخبرنا القرآن الكريم أن أحد لن يحاسب على أفعاله دون أن يكون قد أعلم مسبقا بأحكامها وهو قول أهل السنة والجماعة ومنهم الأشعرية الذين أوضحوا أنه لا حكم لأفعال العقلاء المسئولين قبل ورود الشرع وأن ثبوت الحكم يكون بالشرع لا بالعقل، والعقل غير موجب ولا محرم ويستفاد ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (٩٢) . ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٩٣) .

---

(٨٧) البقرة : ١٣٤، ١٤١ .
(٨٨) البقرة : ٢٨٦
(٨٩) لقمان : ٣٣ .
(٩٠) غافر : ١٧ .
(٩١) النجم : ٣٩ .
(٩٢) الإسراء : ١٥ .
(٩٣) النساء : ١٦٥ .

لقد أوجب سبحانه وتعالى على نفسه أن يعلم الناس قبل أن يحملهم مسئوليتهم، لأنه من الظلم تعذيب الناس الذين يغفلون عن واجباتهم لأنهم لم يعرفوها : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٩٤) .

هذا فى الوقت الذى ذهبت فيه بعض الفرق الإسلامية، كالمعتزلة إلى القول بأن المسئولية أمام الله تعالى شاملة، وأنها قائمة على أساس التكليف الفطرى، وأن العقل، وليس الشرع، هو الحاكم الشرعى على أفعال العباد، فالشرع غير موجب ولا محرم عند المعتزلة، وبالتالى لم يشترطوا الإعلان الإلهى المسبق . ونحن نرى أن هذا الاتجاه يتعارض مع موقف سلف الأمة، ويتنافى مع روح الآيات القرآنية السابق الاستشهاد بها، " لأنه ليس يكفى أن يصوغ الشارع شرائع، ويكلف رسله بإبلاغها، بل يجب أن يصل هذا التعليم إلى الناس، وأن يكون هؤلاء الناس على علم به " .

فشرط قيام المسئولية، هو العلم المسبق بالشرائع، وعدم تعمد النسيان، ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ (٩٥).

---

(٩٤) القصص : ٥٩ .

(٩٥) البقرة ٢٨٦.

٣- ارتكاب العمل الإرادى بالشروط الواردة فى أحكام الشريعة:

يوجب القرآن أن يتوافق العمل الذى يأتيه الإنسان مع أحكام الشرع، ويتحول هذا العمل إلى حدث أى خطأ لا إرادى إذا انعدم وجود هذا الشرط: ﴿ وَلَيس علَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيما أخْطأْتُمْ بهِ ولَكِنْ مَا تعمدتْ قلُوبكمْ ﴾ (٩٦)﴿ ربنَا لا تُؤاخذْنا إِنْ نسينا أوْ أخْطأْنا﴾ (٩٧).

إن العمل المنوط بالمسئولية هو العمل الإرادى، أى العمل الذى يكون القصد إليه كاملا، ويأتيه الإنسان طبقا للصفات الطبيعية والأخلاقية لموضوعه على نحو ما أدركها المشرع.

٤- الحرية (٩٨) :

ونقرر هنا أن "حريتنا" شرط رابع فى المسئولية. ومسئوليتنا عن كل عمل مقصود إرادى، هى أمر قطعى، ومن هنا "فإن الإرادة والحرية

(٩٦) الأحزاب٥.

(٩٧) البقرة: ٢٨٦.

(٩٨) انظر: الدكتور محمد عبد الله دراز:دستور الأخلاق فى القرآن، ص ١٨٠ وما بعدها

ليستا سوى شيء واحد"، كما قال بذلك (ديكارت) فى (الإجابات على الاعتراضات الثالثة). فإرادتنا هى التى تحكم أو تمتنع، هى التى تثبت أو تنكر. ومعنى هذا أن تدخل القوى الخارجية عن الإنسان، لا تنفى عنه المسئولية إلا فى حالة وجود قوة قاهرة لا قبل له بها.

◈ أما بالنسبة للمسئولية الاجتماعية ۞:

تتطلب المسئولية أمام الله، وأمام الناس، كما سبق القول، أن يكون العمل شخصياً، إراديا، تم أداؤه بحرية (أى بغير إكراه)، وأن نكون على وعى كامل، وعلى معرفة بالشرع أو القانون.

وتتميز المسئولية الاجتماعية بكونها إصلاحية مدنية، أو جزائية عقابية. وتستلزم المسئولية الجزائية، التى تشبه المسئولية الأخلاقية والدينية، توافر عنصر القصد والنية، يضاف إلى ذلك حاجتها إلى التعبير المادى المتمثل فى تصرف المتهم.

وإذا ارتكب الولاة، وفى مقدمتهم الوزراء، ما يوجب حدا كقذف محصنة أو شرب الخمر وجب إقامة الحد عليهم حتى ولو كان

۞ انظر : المصدر السابق ص٢٢٢-٢٤٢ .

الإمام نفسه، كما يقتص منهم إذا اعتدوا على بعض الأفراد بالقتل أو قطع أطراف منهم أو ضربهم (٩٩).

كما يعاقب الولاة والحكام والوزراء على بعض الأفعال التى ارتكبوها، مثل خيانة الأمانة بصفة عامة أو الارتشاء أو الحكم بغير ما أنزل الله أو الاعتداء على الرعية، يعاقبون عليها تعزيراً وتنكيلا وتأديباً بالعقوبة التى يقدرها ولى الأمر نظرا لعدم تقرير حد أو كفارة بشأنها (١٠٠).

وقد ورد أول تقرير رسمى للمسئولية، بصفة عامة، فى الدولة الإسلامية بكتاب النبى (عليه الصلاة والسلام)، بين المهاجرين والأنصار واليهود بعد الهجرة إلى المدينة والذى يعد اللبنة الأولى فى دستور الدولة، ونص على الآتى:

---

(٩٩) انظر: محمد أبو زهرة (الشيخ): قضاء المظالم فى الإسلام بحث قدمه إلى الحلقة الدراسية الأولى للقانون والعلوم السياسية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية المعقودة فى الفترة من ١٣-٢٧ أكتوبر بالقاهرة ١٩٦٠ص٣٥٨.

(١٠٠) انظر: عبد الوهاب خلاف (الشيخ): السياسة الشرعية أو نظام الحكومة الإسلامية فى الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ ص٩٣.

" لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمـن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمـن تدبـر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ (١٠١).

وقد حرص الخلفاء الراشدون على تطبيـق مبـدأ المسـئولية مبتدئين بأنفسهم . فيقول أبو بكر الصديق أول الخلفاء، عندما ولـى الخلافة : فإن أحسنت فأعينونى، وإن صدفـت فقومونـى .ويقـول الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة : من رأى منكم فـى اعوجاجا فليقومه، فقال أعرابى : " والله لو رأينـا فيـك اعوجاجـا لقومناه بسيوفنا " (١٠٢) .

(١٠١) الدكتور محمد حميدالله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثالثة ص ٤٧.

(١٠٢) انظر : عبد الله خلاف : السياسة الشرعية، ص٢٨، و د. سيد رجـب السـيد : المسئولية الوزارية فى النظام السياسى الإسلامى

الأسس التى تقوم عليها المسئولية فى الإسلام [١٠٣]

تعددت أقوال العلماء والفقهاء حول الأسس التى تقوم عليها مسئولية الحكام والولاة ومنهم الوزراء .

١- ذهب البعض إلى أن هذه المسئولية من نتائج إحدى مبادئ نظام الحكم فى الإسلام، وهى الشورى، خاصة فى أمور السياسة والحرب فقد أوجب الإسلام الشورى على المسلمين فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [١٠٤] . ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[١٠٥].

فكل شيء فى الدولة الإسلامية بدءا بتأسيس الهيئة التنفيذية وانتهاء بالأمور التشريعية والمسائل التنفيذية، لابد وأن يتم عن طريق الشورى، التى تعتبر أهم مبدأ من المبادئ التى تقوم عليها هذه الدولة.

(١٠٣) انظر فى هذا : د. مصطفى أبو زيد : فن الحكم فى الإسلام، القاهرة ١٩٨١ ص١٧٠، ١٧١، وعبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية، وعلى على منصور : نظام الحكم والإدارة فى الشريعة الإسلامية ص٢٦٤، ٢٦٥، وأبو الأعلى المودودى : الخلافة والملك. ورأفت شفيق شنبور دستور الحكم والسلطة فى القرآن والشرائع ص٦٣ .

(١٠٤) الشورى : ٣٨ .

(١٠٥) آل عمران : ١٥٩ .

ونظرا لأهمية الشورى، كمبدأ سياسى إسلامى، فإنها تتصدر المبادئ السياسية للإسلام . وإذا ترك الحاكم الشورى " كان للأمة أن تطالبه بها، وأن تبدى رأيها – ولو لم يطلب منها – فيما قد يكون لها فيه رأى " (١٠٦) . إن الشورى فوق أنها مبدأ جوهرى فى نظام الحكم الإسلامى، وقاعدة أولى له، فهى فضيلة إنسانية تعمل على احترام عقلية الإنسان، وتأكيد استقلاله، وتحقيق كرامته الفكرية، والقضاء على الاستبداد بالرأى، الذى يعد أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومفسدها الأوحد .

٢– وذهب آخرون إلى أن المسئولية نتيجة لكون الحكم أمانة وواجب من أعظم واجبات الدين، ولا قيام للدين إلا بولاية أمر الناس من قبل حاكم أو إمام يستمد سلطانه من الأمة الممثلة فى أولى الحل والعقد، ويعتمد فى بقاء السلطان على ثقتهم به، ونظره فى مصالحهم وهو مسئول أمام الأمة وأمام الله . ومن هنا عد هذا الحكم من أكمل أنواع الحكومات حيث تستمد السلطة فيه، كما أشرنا، من الأمة، ويرجع إلى قوانين سياسية دينية وضعها الله نافعة فى الحياة الدنيا والآخرة .

---

(١٠٦) انظر : عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص١٢٠–١٢١ .

وإذا كان الحاكم مسئولا أمام الأمة، صاحبة السيادة بالنسبة إليه، فإنه مسئول أيضا أمام الله، وهو ما تقرره الآيات البينات ومنها قوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾** (١٠٧) .

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (١٠٨) .

ومن الأحاديث النبوية التى تؤكد هذه المسئولية قوله عليه الصلاة والسلام : " ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة "، " ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " .

٣- إن المسئولية حق ناتج من الإمامة، والتى هى فى الأصل، عقد اجتماعى بين الحاكم والمحكومين " يعطى الخلفاء من أنفسهم أن يسوسوا المسلمين بالحق والعدل وأن يرعوا مصالحهم، وأن يسيروا

---

(١٠٧) الأنفال : ٢٧ .

(١٠٨) النساء : ١٥٨.

فيهم سيرة النبى ما وسعهم ذلك، ويعطى المسلمون من أنفسهم العهد أن يسمعوا ويطيعوا، وأن ينصحوا ويعينوا " [١٠٩].

إن الحاكم أو الإمام، وكيل عن الرعية، خاضع لرقابتها وحق مساءلتها له، ولها عليه سلطان التولية والعزل والتوجيه .

وقد أوجب الله تعالى : ورسوله الكريم ضرورة الوفاء بالعقود وعدم الإخلال بشروطها . يقول تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾** [١١٠]. **﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾** [١١١]. ويقول عليه الصلاة والسلام : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر "[١١٢].

ومن هنا كان من حق المسلمين مساءلة الإمام وأعوانه ومنهم الوزراء عن عدم الوفاء بالعهد، لأنهم أفراد كأى أفراد آخرين من أفراد الأمة، لا فرق بينهم وبين غيرهم إلا بالتقوى والعمل الصالح

---

(١٠٩) د. طه حسين : الفتنة الكبرى، ط. القاهرة، ص٦ .

(١١٠) المائدة : ١ .

(١١١) الإسراء : ٣٤ .

(١١٢) رواه الشيخان .

والهيئة التنفيذية الحاكمة مسئولة عن الناس، عباد الله، وهذه الهيئة هى الراعية لهؤلاء العباد، وهى مسئولة عن أى تقصير أو إهمال يقع منها .

٤- رأى البعض أن المسئولية نتيجة المبدأ العملى الذى يقوم عليه نظام الحكم فى الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو مبدأ يتصل بالسلوك والمسلمون جميعا مطالبون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل الوسائل الممكنة باللسان واليد والسيف .

يقول الزمخشرى، وهو من رؤساء علماء المعتزلة، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ (١١٣) .

إن النهى عن المنكر فرض كفاية لا فرض عين، لأنه لا يصلح له إلا من علم كيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يباشره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف أو أمر بمنكر، وقد يغلظ فى موضع اللين، أو يلين فى موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيد إنكاره إلا تماديا(١١٤) .

---

(١١٣) آل عمران : ١٠٤ .

(١١٤) الزمخشرى : الكشاف، تفسير آية : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ﴾

وعند ابن حزم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كل مسلم إن قدر بيده فبيده، وإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فلا إيمان له (١١٥) .

وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة تشير إلى أن الاحتجاج على الخطأ البين هو من أهم واجبات الفرد المسلم، وعلى الأخص إذا وقع الخطأ من قبل السلطة التنفيذية الحاكمة يقول تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (١١٦)، ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ (١١٧) . ويقول عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (١١٨) .

---

(١١٥) انظر : ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل، المطبعة المطبعة الأدبية بالقاهرة، طبعة أولى، ١٣١٧هـ ٤/١٧١ .

(١١٦) آل عمران ١١٠ .

(١١٧) الحج : ٤١ .

(١١٨) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى

ويقول فى تطبيقات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : " أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر " (١١٩) .

وبهذا يمثل مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دستور الحكم فى الإسلام، ويصلح أساسا للمسئولية الوزارية . وهو الرأى الذى نراه ونذهب إليه .

ولا يوجد فى الإسلام مركز أو منصب يتمتع صاحبه بالقداسة أو السلطة المطلقة . كما أنه لا يخص الإمام أو الحاكم وعماله، بما فيهم الوزراء بمزية خاصة، ولا يرتفع بهم إلى منزلة متفردة بل الكل سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل وكثرة الإصابة فى الحكم .

فإذا اتضح أن الوزير لا يؤدى واجبه بالإخلاص أو الكفاءة المطلوبين، وإذا تأكد عجزه عن القيام بمهام منصبه بسبب العجز البدنى الناجم عن ظروف لا سلطان للإنسان عليها (مثل اعتلال الصحة أو خلل فى القوة العقلية)، أو العجز الأدبى المعنى بالحديث الشريف " لا طاعة فى معصية، إنما الطاعة فى المعروف " وجبت مساءلته وعزله من منصبه وتولية من هو أكفأ منه .

---

(١١٩) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى .

ويخضع وزير التفويض، الذى يتمتع بسلطة كاملة استقلالية للمساءلة، ويؤاخذ على كل فعل يأتيه، ويحاسب على نتائج أعماله على النحو الآتى (١٢٠) :

١- عجزه عن العمل، وقصور كفايته، فالعمل بالعجز مضاع .

٢- اختلال العمل من عسفه أو خرقه، أو بسبب النفور أو الجور .

٣- الخروج على مقتضى العدل .

٤- عدم الالتزام بأوامر الشرع والانتهاء عن زواجره بإقدامه على شرب الخمر وارتكابه جريمة الزنا .

٥- ظهور خيانته .

٦- إهمال شئون الرعية واستمراء محاباتها له فى المعاملة بسبب ولايته .

---

(١٢٠) انظر : ابن تيميه : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، دار الكتاب العربى بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ ص٤٢،٤٤،٤٧ والغزالى: إحياء علوم الدين، مطبوعات دار الشعب بمصر، جـ٥ص٨٨٤، ٩١٩، والماوردى : الوزارة، أو أدب الوزير، تحقيق د. محمد سليمان داود، ود. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الجامعات، الطبعة الأولى ١٩٧٦، ص٤٨،٧٠،٩٠،٩١،٩٥، ١١٥،١٢٢، وأيضا : قوانين الوزارة للماوردى ص٩٠-٩٣ .

٧- تعطيل إقامة الحدود، وأخذ المال مقابل عدم إقامتها عند وجوبها على " الزانى " .

٨- عدم مراعاة وجه الله،وصالح الرعية عند إقامة الحدود والتستر وراء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقصد العلو بين الناس

٩- الاختلاس وفى هذا يقول النبى عليه الصلاة والسلام : "من استعملنا منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا، يأتى به يوم القيامة " .

١٠- أخذ ما لا يحل من الرعية، وقبول الهدايا بسبب العمل ومن أقواله عليه الصلاة والسلام فى هذا : " هدايا الأمراء غلول " أى خيانة أو رشوة . وقال أبو حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه : " استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " فإنى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله، فيأتى فيقول : هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ؟ والله لا

يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله تعالى بحملـــه يـــوم القيامة . . . " .

أمـــا عـــن وزيـــر التنفيـــذ فإنـــه يحاســـب ويســـأل عـــن الأعمال التالية(١٢١)

١- إفشاء أسرار الدولة، ولقل ما يعفو رئيس الدولـــة عـــن مفشـــى الأسرار لتردده بين خيانة وجناية .

٢-التقصير فى فحص أحوال الدولة .حتى يعلم مـــا غـــاب كعلمـــه بالحاضر، ويعلم ما خفى كعلمه بالظاهر .

٣- التأخير فى إعلام رئيس الدولة بأحوالها، وإن جاز تأخير العمـــل لأن عليه الإنهاء، وليس عليه العمل .

٤- عدم توضيح حقائق الأمور لرئيس الدولة (المملكة)،وعدم التفرقة بين الصغير من الحقائق، والكبير منها، أو تعظيم الصغير مـــن الأمور، أو تصغير عظيمها .

أما عن الجهات التى لها حق مساءلة الوزير ومحاسبته فيأتى فى

(١٢١) انظر : الماوردى : قوانين الوزارة ٩٧-١٠٠ .

مقدمتها الإمام أو رئيس الدولة، لأن بيعة الأمة تتم للإمام، ويسأل هو أمامها عن جميع أعماله وعن أعمال معاونيه بما فيهم الوزراء(١٢٢).

ثم يأتى دور نواب الأمة وممثليها وهم أهل الحل والعقد الذين لهم حق مراقبة الوزراء ومحاسبتهم بتبليغ الإمام بالمخالفات التى توجب عزل الوزير من منصبه، إذ يعتبر هذا من صميم واجباتهم، التى تتضمن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقديم المشورة والنصح للإمام الذى قد يؤدى تقاعسه عن أداء مهام وظيفته وتهاونه فى محاسبة الوزراء إلى مسئوليته شخصيا أمام أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار، وأمام الأمة .

ومن المعلوم أن أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار هم الذين ينوبون عن الأمة فى اختيار الإمام، ويتم الاختيار بطريق البيعة الصحيحة الشرعية . ويقع على أهل الحل والعقد (نواب الأمة وممثليها) إلا ثم إذا قصرت فى تأدية مهمة الاختيار لحاكم الأمة وتقديم النصح له . ولخطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، اشترط فى

(١٢٢) انظر : الشيخ عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية أو نظام الحكومة الإسلامية، ص٧ وما بعدها .

أفراد هذه الجماعة أن يكونوا عدولا وأهل علم وخبرة، حتى يتسنى لهم أداء المهمة الخطيرة الموكولة إليهم على خير وجه .

كما تتم محاسبة الوزراء أيضا أمام والى المظالم . وتعتبر ولاية " النظر فى المظالم " نوعا من القضاء العالى، يتعلق بمقاضاة رجال السلطان من وزراء ونوابهم، ونظام موظفى الدولة من ظلم الرؤساء وجورهم، وعلى هذا فإن سلطة الناظر فى المظالم أعلى من سلطة القاضى والمحتسب معا . ولذا فهو أشبه ما يكون من الناحية الغالبة على اختصاصاته بالقضاء الإدارى عندنا الذى هو أحد قسمى مجلس الدولة، كما أنه فى بعض اختصاصاته يشبه بوجه ما عمل النيابة الإدارية والمحاكم التأديبية (١٢٣) .

ويوضح مسئولية الوزير أمام والى المظالم ما حدث فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إذ خاصم يهودى عليا بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو وزير عمر، كما أوضحنا ذلك سابقا، فما كان من الخليفة عمر إلا أن استدعى عليا – دون نظر إلى

(١٢٣) انظر : محمد سلام مدكور : القضاء فى الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤ ص١٤٢ .

منزلته- إلى مجلس القضاء وأمره بالوقوف حتى يساوى بينه وبين خصمه اليهودى .

بان لنا إذن، أن من أهم اختصاصات قاضى المظالم النظر فى تعدى الولاة، ومنهم الوزراء على الأفراد والجماعات مستهدفا فى ذلك إنصافهم من ظلم الولاة والوزراء وتحقيق العدل بين الجميع. وبهذا يساوى الإسلام بين الجميع أمام شرع الله، ولا يقر لأحد بمنزلة خاصة أمام القانون، كما لا يوجد فيه إنسان فوق المحاسبة والمسئولية، حاكما كان أو واليا أو وزيرا .

أما فى الغرب فإن مسئولية الوزراء هى مسئولية شاملة . فالوزراء مسئولون مدنيا وجنائيا فى جميع النظم السياسية. فمسئوليتهم المدنية إنما تكون عن الأضرار التى تنجم عن مزاولتهم لوظائفهم، أما المسئولية الجنائية فتنجم عن الجرائم التى يرتكبها الوزراء أثناء ممارستهم لهذه الوظائف .ويتميز النظام البرلمانى بتقرير المسئولية السياسية للوزراء التضامنية والفردية ✿.

✿ د. ثروت بدوى : النظم السياسية، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٠ ص٣٣٣، وانظر : د.سيد رجيب السيد : المسئولية الوزارية فى النظام السياسى الإسلامى .

وتوجب المسئولية الوزارية التضامنية استقالة الوزارة بكامل هيئتها عند عدم نجاحها فى اكتساب ثقة البرلمان أو هيئة الناخبين .

ولم تكن مسئولية الوزراء التضامنية هذه فى السياسة التى يتبعونها فى تسيير أمور البلاد معروفة فى النظام الإنجليزى حتى أواخر القرن الثامن عشر .

◈ نصائح للوزير :

اهتم فقهاء الإسلام بالوزير اهتماما كبيرا نظرا للدور الخطير الذى يلعبه فى إدارة شئون الدولة، وكونه معينا للإمام أو الحاكم برأيه وتدبيره . ومن هنا وجهوا إليه مجموعة من النصائح والوصايا الهامة، مما يعينه على حسن تأدية أعماله، ويبقى أن الهدف منها أولا وأخيرا مصلحة الدولة ومنفعة المحكومين . وفى أمثال هذه النصائح يقول الأستاذ العقاد (١٢٤) :

" النصائح التى من هذا القبيل لها نظائر فى الدساتير الحديثة يقول فقهاء السياسة : " إن الملك لا يخطئ " . ويعنون بذلك وظيفة الملك لا شخصا بعينه يوصف بالعصمة وهى مستحيلة فى الناس .

---

(١٢٤) عباس محمود العقاد : الديموقراطية فى الإسلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ص١٧٣ .

إلا أن المبدأ فى ذاته سليم من حيث يقوم على مطالبة الحاكمين بالصفات التى تنفع المحكومين على أحسن مثال، ولا تخولهم الأمر والنهى إلا بما فيه صلاح للمأمورين والمتهمين، ولو كان الحكم حقا للحاكم ومصلحته الشخصية لما لزمته هذه الصفات، إلا أن يكون الكمال مطلوبا لكل إنسان من الحاكمين أو المحكومين .

وعلى الجملة تقوم النصائح والوصايا فى هذه الكتب جميعا على قاعة واحدة : " وهى الحكم لمصلحة المحكومين ".

وقد حرص الفقهاء فى هذه النصائح والوصايا بأن يلتزم الوزير أصول الشريعة السمحاء ومبادئ الأخلاق القويمة . ويمكن لنا أن نجمل هذه النصائح فى :

- **ضرورة مراقبة الوزير ربه فى السر والعلانية، ويحاسب نفسه قبل أن تحاسب، فصلاح الأعمال ذخر للإنسان عند ربه .**
- **الالتزام بمبادئ الدين الحنيفة، فيذل له كل صعب، ويتسهل عليه كل خطب .**
- **التمسك بمقتضى العدل، وأن يكون عادلا تقيا، وأن يعدل فى جميع تصرفاته وأفعاله، حتى يسهل انقياد الناس إليه، " لأن العدل استثمار دائم، والجور استئصال منقطع " .**

والعدل أنواع : عدل بالأموال، وعدل بالأقوال، وعدل بالأفعـــال، فعدلك بالأموال، أن تؤخذ بحقها . وتدفع إلى مستحقها . وعدلك فى الأقوال، أن لا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ولا العـــالم بخطاب الجهول، وعدلك فى الأفعال أن لا تعاقب إلا على ذنـــب، ولا تعفو إلا عن إتابة . على أن لا يبعثك السخط علـــى إطـــراح المحاسن، أو يحملك الرضا على العفو عن المساوئ .

- الحرص على الوفاء بالعهود، لأن الوعد حق على الوزير.
- الابتعاد عن الانفعالات وفى مقدمتها الغضب " وليكـــن غضبـــك تغاضبا، تملك به عزمك وتقوم به خصمك " (١٢٥).
- التدقيق فى اختيار نوابه ومعاونيه فى الـــوزارة مـــن الرجـــال الأكفاء، راجحى العقول، سديدى الرأى، دون اســـتكثار منـــهم، حتى لا يكون هناك إرهاق لميزانية الدولة، أو اضطراب وتنـــافر فى الأعمال. " ولأن يكون العمل خاليا فينصرف إليه فكرك، أولى من أن يباشره عاجز وخائن، فاحذر العاجز فإنه مضيع، وتـــوق الخائن فإنه يكدح لنفسه "، " وليكن أعوانك وفق عملـــك، فإنـــه

---

(١٢٥) انظر : الماوردى : قوانين الوزارة ص١٠٥-١٢٢ .

أنظم للشمل، وأجمع للعمل، وأبلغ للاجتهاد، وأبعث على النصح".

- ضرورة مباشرة الوزير أغلب الأعمال بنفسه، دون اتكال فى ذلك على نوابه ومعاونيه، ضمانا لحسن تأدية الأعمال .
- عدم التعويل على التهم والظنون، وطرح الشك باليقين .
- تجنب الانغماس فى الشهوات حتى لا يصرفه ذلك عن جليل الأعمال، وأن يكون شعاره الاعتدال فى كل شىء .
- الاستجابة لدعوة المظلوم، والصبر على قضاء حوائج الناس.
- رفض قبول المدح من المتملقين والمنافقين أصحاب المصالح الذاتية، " فإن النفاق مركوز فى طباعهم " .
- عدم الانسياق إلى كثرة الإدلاء بالأقوال والوعود الجوفاء وليكن فعل الوزير أكثر من قوله، فإن زيادة القول على الفعل دناءة وشين .
- الحرص على راحة الجسم وصفاء العقل، ليكون ذلك عونا للوزير على النظر الصائب والتفكير السديد .
- مشاورة أهل الرأى والفضل والعلم والعقل، والدين والأمانة

والعفة والتجربة، ,لا يجوز للوزير أن يغفل هذا الأمر، ويضرب عنه صفحاً مع علو منزلته، والهدف من وراء كل ذلك هو صلاح حال الدولة . وعلى وجه العموم، فإن هذه النصائح هى أشبه ما تكون بدستور مكتوب للوزراء .

◈ تعيين الوزير:

جرت العادة على اختيار الوزير من بين المثقفين ثقافة أدبية المتمتعين بخبرات تامة بشئون الدولة الإدارية والمالية . فإذا ما رشح شخص للوزارة، سار إلى دار الخلافة برفقة اثنين من الأمراء، كلفهما الخليفة بإحضاره، وهناك يخبره الخليفة باختياره وزيراً، ثم يتجه إلى حجرة مجاورة ليرتدى ملابس التشريف وهى القباء (١٢٦) والسيف والمنطقة (١٢٧) المحليين بالذهب، ثم يمثل بها أمام الخليفة فيقبل يده، وينصرف إلى الخارج ممتطياً ظهر حصان مزين ويذهب به إلى الدار المخصصة للوزارة يصاحبه الأمراء والوجهاء وكبار المسئولين . فإذا وصل إلى دار الوزارة وسط

(١٢٦) القباء : نوع من الثياب، وسمى بذلك لاجتماع أطرافه، انظر : ابن منظور : لسان العرب ١١٩/١٠ .

(١٢٧) المنطقة : الحزام، أى كل ما يشد به المرء وسطه، المصدر السابق ٣٥٥/١٠ .

مظاهر الاحتفال، توافد عليه الناس بمختلف فئاتهم للسلام والتهنئة (١٢٨).

أما عن راتب الوزير، فلم يكن محدوداً، أو مقصوراً على الوزير نفسه، بل كان يعطى كل ولد من أولاده وإخوته رواتب معينة فى كل شهر . وقد بلغ راتب الوزير فى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) خمسة آلاف دينار فى الشهر، يضاف إلى ذلك الإقطاعات والهدايا والخلع التى كان يقدمها الخليفة لوزيره فى المواسم والأعياد .

◈ منصب نائب الوزير :

نظراً لأهمية منصب الوزير وخطورته، وتعدد واجبات الوزراء من حيث السعى فى عمارة البلاد، وإصلاح خللها، وتنمية الأموال، وتحسين الزراعة والصناعة، وإنعاش الاقتصاد بصفة عامة، وتشجيع العلماء والأدباء، وبالنظر أيضاً إلى استحالة قيام الوزير بمفرده بأعمال الوزارة، فقد ظهر منصب " نائب الوزير "، وكان هذا على وجه التحديد فى العصر العباسى . وقد عد ظهوره مظهراً من

---

(١٢٨) انظر : الصابئ (هلال بن الحسن) : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م، ص٢٨،٣٦ .

مظاهر تطور الوزارة فى ذلك العصر . وقد عمد الخلفاء إلى تعيين : نائب للوزير فى الفترات التى تعقب عزل أحد الوزراء حتى لا تتوقف أعمال الوزارة، وتتعطل مصالح العباد . كما لجأ البعض منهم إلى هذا التعيين، أيضاً، فى بعض الأحيان، التى تنعدم فيها ثقة الخليفة فى وزيره .

وإذ كان من الجائز أن يعين الوزير " نائباً له " فإنه كان من الجائز أيضاً أن يعين " نائبين " له فى الوزارة، لمعاونته فى تسيير أمور وزارته ومشاركتهما له فيها،حتى لا يتوقف دولاب الأعمال فى الدولة .

خاتمة وتعليق

❑ يحق لنا في مقام الختام أن نوجه الأنظار إلى أن منصب الوزارة، هو منصب عربي إسلامي بحت، ليس مأخوذاً عن الفرس أو غيرهم من الشعوب الأخرى، كما يحلو لبعض الباحثين، غربيين كانوا أو شرقيين، أن يقول بذلك .

❑ كلمة وزير هي كلمة عربية الأصل، لا علاقة لها أو صلة بكلمة وزير الفارسية، التي تعني القضاء أو الحكم أو التقرير . أما عن التشابه بين الكلمتين فإنه لا ينهض دليلاً على الاقتباس المزعوم، خاصة إذا علمنا أن كلمة Vicir الفهلوية لم تستعمل كلقب لأي وظيفة كبيرة أو صغيرة أو رتبة في الإمبراطورية الفارسية .

يضاف إلى ذلك أنه في الوقت الذي كانت فيه سلطات الوزير الفارسي ضئيلة جداً، نجد أن سلطات الوزير في العهد الإسلامي – بعد شيوع نظام الوزارة ورسوخها – كانت واسعة ومتعددة، وكان نفوذه أقوى مما كان عليه في العصر الفارسي .

يحق لنا – بعد هذا – أن ننكر الأصل الساساني للوزارة في الإسلام، ونؤكد، من ناحية أخرى، عروبة الكلمة، وإسلامية المنصب والرتبة والاختصاصات .

❑ يرجع لفقهاء الإسلام، وفى مقدمتهم الماوردى، الفضل الأول فى تقسيم الوزارة إلى وزارة تفويض ووزارة تنفيذ ۞، منذ ما يقرب من ألف عام . وهم بهذا الصنع غير مسبوقين، وقد تابعهم فى هذا التقسيم من بعد ذلك الكثيرون من الفقهاء والباحثين المعاصرين من رجال الفكر الدستورى فى الغرب، الذين لم يعرفوا هذا المنصب إلا فى القرن السابع عشر الميلادى ثم أخذ يتطور بعد ذلك حيث لم يكن معروفاً قبل ذلك فى الأنظمة والدساتير الحديثة بهذه الحدود والأوصاف وأوضاع واختصاصات الوزراء الآخرين التى حددها فقهاء الإسلام قبل ذلك بقرون عديدة .

❑ عرف المسلمون منصب " نائب الوزير " فى العهد العباسى وكان ظهوره مظهراً من مظاهر تطور الوزارة فى ذلك العهد . كما كان للوزير الحق، فى ذلك العصر فى أن يعين نائبين له فى الوزارة لمساعدته فى سرعة إنجاز الأعمال فى الدولة .

❑ منصب وزارة التفويض، أو الوزير الأول، أو رئيس الوزراء، هو فى حقيقته منصب وزارة قلم، يتولاه الرجل المتخصص

۞ يقابل وزارة التفويض فى عصرنا الحديث منصب الوزير الأول أو رئيس الوزراء، ويقابل وزراء التنفيذ الوزراء العاديون كوزراء المالية والحربية والعدل والخزانة.

الصالح الحكيم، المثقف ثقافة واسعة، العليم بأسرار الحكم، الخبير بالسياسة الذى يحكم بمقتضى علمه وثقافته الواسعة، ومن هنا عدت هذه الوزارة أفضل أنواع الوزارات على الإطلاق . وبهذا أعلن فقهاء الإسلام كراهيتهم البالغة لكل شكل من أشكال الحكم العسكرى الذى يعتمد على القوة، ويعادى العقل والعلم والخبرة .

❒ تمتع الوزير فى الإسلام بسلطة استقلالية، ومكانة فريدة ممتازة، لم يتمتع بهما وزير من قبل أو من بعد، يستوى فى ذلك الوزير فى مصر القديمة والصين واليونان وبلاد الرومان، أو الوزير فى العصر الحديث، والذى لم تتحدد مهام وظيفته إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى .

❒ أباح علماء الإسلام ومشرعوه، منذ قرون عديدة أن يلى الوزارة والمناصب الهامة فى الدولة الإسلامية رجل على غير الدين لا المذهب، وبذلك يجوز أن يكون وزير التنفيذ مسيحياً أو يهودياً، وهذا بخلاف وزير التفويض الذى يولى ويعزل ويباشر الحكم ويسير الجيوش ويتصرف فى بيت المال . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل دلالة قاطعة على تسامح الإسلام وسمو تعاليمه ورقى مبادئه ورحابة صدره .

مراجع البحث

أ- المراجع العربية :

ابن تيميه (تقى الدين) :

- السياسية الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، دار الكتاب العربى بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ .

ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) :

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتعليق على عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربى بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦ .

ابن طباطبا (محمد بن على) :

- كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٧هـ .

ابن العربى (أبو بكر) :

- أحكام القرآن : القسمان الأول والثانى، الطبعة الثانية ١٩٦٧ والقسمان الثالث والرابع، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

أبو يعلى *الفراء* (محمد بن الحسين) :

- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ – ١٩٣٨ .

أحمد بن *الداية* :

- الفلسفة السياسية عند العرب، تحقيق الدكتور عمر المالكى، الجزائر ١٩٧١ .

بارتولد :

- تاريخ الحضارة الإسلامية، نقلة إلى العربية حمزة الطاهر، القاهرة ١٩٤٣ .

الثعالبى (أبو منصور) :

- تحفة الوزراء، مخطوط بدار الكتب المصرية فى مجلد باسم الخصائص رقم (٥نحو ش جـ٣) .

ثروت بدوى (*الدكتور*) :

- النظم السياسية (النظرية العامة للنظم السياسية) دار النهضة العربية بالقاهرة جـ١ / ١٩٧٠ .

❁ **جاك دونديو دوفاير** :

➢ الدولة، ترجمة سطوحى فوق العادة، مكتبة عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ .

❁ **الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس)** :

➢ كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الأولى بالقاهرة .

❁ **الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس)** :

➢ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى، جمعها من مصادر مخطوطة ومطبوعة وعلق عليها ميخائيل عواد، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٦٤ .

❁ **جواتيانن (س-د)** :

➢ دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصى، وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٨٠ .

❁ **حسن إبراهيم حسن (الدكتور)** :

➢ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٦٤ .

حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن (الدكتوران) :

- النظم الإسلامية، طبعة القاهرة ١٩٣٩

حمدى المناوى (الدكتور) :

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠ .

رأفت شفيق شنبور (الدكتور) :

- دستور الحكم والسلطة فى القرآن والشرائع ١٩٥٤ .

السيد صبرى (الدكتور) :

- الوزير الأول فى إنجلترا، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٤٧ .

سيد رجب السيد (الدكتور) :

- المسئولية الوزارية فى النظام السياسى الإسلامى، القاهرة .

الشيرازى (على بن أحمد بن محمد بن أبى بكر) :

- تحفة الملوك والسلاطين فى الخلافة والسلطنة والوزارة، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٧٢ اجتماع تيمور) .

الصابئ (أبو الحسن الهلال بن المحسن):

- كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة عيسى البابى الحلبى ١٩٥٨ .

صبحى الصالح (الدكتور):

- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥ .

عبد الحى الكتانى (الشيخ):

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربى، بيروت .

عبد الحميد متولى (الدكتور):

- أزمة الفكر السياسى الإسلامى، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ .

عبد الحميد متولى (الدكتور):

- مبادئ نظام الحكم فى الإسلام مع المقارنة بالنظم الدستورية الحديثة، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى .

❁ **عبد الوهاب خلاف (الشيخ)** :

➢ السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية فى الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار، بالقاهرة ١٩٧٧ .

❁ **الغزالى (أبو حامد)** :

➢ إحياء علوم الدين، مطبوعات كتاب الشعب بالقاهرة، جـ٥

❁ **فتحى عبد الكريم (الدكتور)** :

➢ الدولة والسيادة فى الفقه الإسلامى ــ دراسة مقارنة، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٧٦ .

❁ **فؤاد محمد شبل** :

➢ حكمة الصين، دار المعارف، مصر، الجزء الأول ١٩٦٧.

❁ **فؤاد محمد شبل** :

➢ الفكر السياسى، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، الجزء الأول ١٩٧٤ .

لاسكى (هارولد) :

- أصول السياسة، ترجمة محمود فتحى عمر، إبراهيم لطفى عمر، مراجعة الدكتور بطرس بطرس غالى، دار المعارف، بالقاهرة .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) :

- الأحكام السلطانية، تصحيح محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) :

- قوانين الوزارة، تحقيق ودراسة د. صلاح الدين بسيونى رسلان، ط. نهضة الشرق بالقاهرة ١٩٨٦ .
- الوزارة أو أدب الوزير، تحقيق الدكتور محمد سليمان داود، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الجامعات بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٦.

ميتز (آدم) :

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار الكتاب العربى، ببيروت، المجلد الأول، الطبعة الرابعة ١٩٦٧ .

ميشيل ستيوارت :

- نظم الحكم الحديثة ترجمة أحمد كامل، مراجعة د. سليمان الطماوى، دار الفكر العربى بالقاهرة (سلسلة الألف كتاب)، الطبعة الأولى ١٩٦٢ .

محمد حميد الله (الدكتور) :

- مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوى والخلافة الراشدة، دار الإرشاد ببيروت ط. ١٩٦٩ و ط. ١٩٧٣ .

محمد ضياء الدين الريس (الدكتور) :

- النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث بالقاهرة الطبعة السابعة ١٩٧٩ .

محمد عبد الله دراز (الدكتور) :

- دستور الأخلاق فى القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن، تعريف وتعليق دكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور سيد بدوى، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٢م .

محمد عبد الله العربي (الدكتور):

- نظام الحكم في الإسلام، دار الفكر العربي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

محمد يوسف موسى (الدكتور):

- نظام الحكم في الإسلام، القاهرة ط. ١٩٦٤ و ط. ١٩٦٨ .

مصطفى أبو زيد (الدكتور):

- فن الحكم في الإسلام، المكتب المصري الحديث بالقاهرة، ١٩٨١م .

مصطفى الخشاب (الدكتور):

- تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣ .

مصطفى كمال وصفي (الدكتور):

- الإسلام والنظام الإداري، القاهرة، القسم الأول ١٩٧٤ .
- النظام الدستوري في الإسلام مقارناً بالنظم المعاصرة، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى .

وِل ديورانت :

- قصة الحضارة ترجمة محمد بدران، الجزء الثانى من المجلد الأول، الطبعة الثالثة بالقاهرة ١٩٦٣ .

٢- المراجع الأجنبية :

- Bowen (Harold) : The Life and Times of Ali Ibn Iss The Good Vizier Cambridge , 1928 .
- Duverger : Introduction à la Politiqe , Paris, 1964 .
- Encyclopedia of Islam , Vol 4-2 .
- Nicoholson : A Literary history of The Arabs .
- Nicoholson : A Literary history of the Arabs .
- Sourdel : Le Vizirate Abbaside Vol.1.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

يعد هذا الكتاب تأصيلاً لمنصب الـــوزارة ، وتعريفاً بكيفية نشأته فى الإسلام .

ويلفت الكتاب الأنظار إلى أن منصب الوزارة هو منصب عربى إسلامى بحث ، ليس مأخوذاً عــن الفرس أو غيرهم من الشعوب الأخرى كمـــا يحلــو لبعض الباحثين ترداد ذلك . كما يكشف عــن سـبق فقهاء الإسلام ، بقرون عديــدة ، لمفكـــرى الغـــرب وفقهائه فى تفرقتهم الشهيرة بيـــن وزارة التفويـــض ووزارة التنفيذ ، وضرورة أن يتولى منصـــب وزارة التفويض الرجل المتخصص، المثقف ثقافة واســـعة، العليم بأسرار الحكم ، معلنين بذلك عـــن كراهيتـــهم البالغة لكل شكل من أشكال الحكم العســكرى الـــذى يعادى العقل ، ويكره العلم والخبرة .

أحمد غريب